صوت الراوي

في الوقت الذي تعنى فيه **الراوي** بالإبداع القصصي في الجزيرة العربية، فإنها تشرع ذراعيها لتحتضن الإبداعات العربية من أي بقعة جغرافية، من أجل وحدة الإبداع. ولذا، فإننا نرحب - بكل تقدير - بمساهمات المبدعين، لنشرها عبر صفحات **الراوي**.

راوي العدد تقليد بدأناه منذ العدد الثاني، ويأتي ذلك حرصاً من **الراوي** على تسليط الضوء على تجربة إبداعية قصصية. وقد تم اختيار مبدعين ومبدعات أسهموا بشكل ملحوظ في مسيرة القصة القصيرة في الجزيرة العربية. في الأعداد السابقة وعلى الترتيب، تم تقديم كل من سباعي عثمان (السعودية) ومحمد عبدالولي (اليمن)، وعبدالله خليفة (البحرين)، وسليمان الشطي (الكويت)، وعبدالحميد أحمد (الإمارات)، وشريفة الشملان (السعودية)، وزيد مطيع دماج (اليمن). في هذا العدد يتم تقديم المبدع أمين صالح، ذي الإبداع المتعدد. وإذا كنا نقدم في كل عدد تعريفاً بالمبدع وإنتاجه، فإن

الشهادات النقدية لا تشمل إنتاج المبدع، وإنما تركز علي القصة القصيرة، نظراً لأن **الراوي** دورية متخصصة في هذا الجانب.

يلحظ القارئ أن هناك صوراً متعددة لتقديم راوي العدد ، والأمر يعتمد على المتوفر لدينا من معلومات، وفي معظم الأحيان يتم التواصل مع المبدع نفسه لتزويد **الراوي** بمعلومات شخصية ولقاءات، ورؤى نقدية، ويختلف التجاوب من مبدع لآخر بين تواضع وكرم بالنسبة للمعلومة المرسلة لنا. لكننا نحرص على أن تكون المعلومات الشخصية تتسم بالدقة والموضوعية. أما الرؤى النقدية فتتم مراعاة تنوع العموم والخصوص، إضافة إلى اختلاف زمن كتابتها.

نود أن نقدم شكرنا للمبدع عبدالقادر عقيل لتواصله الدائم وكرمه مع الراوي، وشكر خاص لمبدع العدد أمين صالح لتجاوبه مع **الراوي**.

لدينا طموح أكبر لتجاوب المبدعين والمبدعات بإرسال إبداعاتهم التي لم تنشر في مجموعات قصصية، لتشرف **الراوي** بنشرها، وأملنا أن يتم تزويدنا بالمجموعات القصصية، الصادرة حديثاً للتعريف بها، ونرغب من الجميع تزويدنا بسيرهم الذاتية.

نتمنى للجميع مزيداً من التوفيق والعون.

رئيس التحرير

راوي العدد :

أمين عقيل محمد صالح

سيرة ذاتية

الاسم الكـامـل: أمين عقيل محمد صالح.

الاسم الأدبـي: أمين صالح.

مكان وتاريخ الميلاد: المنامة 1949.

الحالة الاجتماعية: أعزب.

المهنة الحالية ومكانها: كاتب متفرغ.

العنوان البريدي: ص.ب 26424 - البحرين

التخصص: روائي، كاتب قصة قصيرة، كاتب مسرحي، كاتب سينمائي، مترجم.

عضو أسرة الأدباء والكتاب.

عضو مسرح أوال.

عضو نادي البحرين للسينما.

الأعمال التلفزيونية: سهرات درامية: العطش، العربة، يونس والآخرون.

منوعات: بث غير مباشر، حالات (جائزة مهرجان قرطاج)، أبيض وأسود، صور، غناوي المرتاحين.

مسابقات للأطفال: صانعو التاريخ، بحر الحكايات، أبواب (وكلها حازت على جوائز في مهرجان القاهرة والمهرجان الخليجي).

مسلسلات: ملح وذهب، الهارب، نيران (الجائزة الثانية في المهرجان الخليجي).

الأعمال المسرحية: روميو الفريج، اختطاف، الجثة (الجائزة الأولى في المسابقة المسرحية)، حيدر (جائزة تقديرية في المسابقة المسرحية)، أخبار المجنون.

السينما: سيناريو الفيلم الطويل الأول (الحاجز).

الأعمال الأدبية:

هنا الوردة.. هنا نرقص	(قصص 1973)
الفراشات	(قصص 1977)
أغنية أ.ص الأولى	(رواية 1982)
الصيد الملكي	(قصص 1982)
الطرائد	(قصص 1983)
ندماء المرفأ.. ندماء الريح	(نصوص 1987)
العناصر	(قصص 1989)
الجواشن	(نص 1989)

ترنيمة للحجرة الكونية	(نصوص 1994)
السينما التدميرية	(ترجمة 1995)
مدائح	(نصوص 1997)
هندسة أقل.. خرائط أقل	(مقالات 2001)
موت طفيف	(نصوص 2001)

شهادات
(1)

لحق بكل من محمد عبدالملك وخلف أحمد خلف ومحمد الماجد.. مجموعة من الكتاب الذين أثروا تأثيراً كبيراً في مسار تجربة القصة القصيرة في البحرين ومن أبرز هؤلاء أمين صالح. فهو ينشر أول قصصه في يناير 1970 بعنوان «على صخرة جافة تحطم رأسي» ثم تستمر تجربته في التطور والنضج بسرعة تميزه عن بقية كتاب القصة القصيرة في البحرين. وهو ما تعبر عنه مجموعاته القصصية الصادرة. ففي عام 1973 صدرت مجموعة «هنا الوردة هنا نرقص»، وفي عام 1977 صدرت مجموعة «الفراشات» ثم صدرت مجموعة «الصيد الملكي» في عام 1982 وصدرت مجموعة «الطرائد» في عام 1983 ومجموعة «ندماء المرفأ.. ندماء الريح» في 1987 والعناصر (1989).

ومن أكثر ما تتميز به قصص أمين صالح تحررها من شكل القصة التقليدية واتجاهها نحو التجريب واهتمامها المكثف باللغة التعبيرية والتصوير والخيال وإن نزعت نحو مشاغل تبدو بعيدة عن سطح الواقع.

عبدالقادر عقيل

(2)

تنطلق تجربة أمين صالح وخلف أحمد خلف كي تفتح للقصة القصيرة سبلاً جديدة تتلاءم فيها مع الواقع وتساهم «في خلق الحساسية الفنية المغايرة التي تحتاجها الحركة الأدبية الجديدة». فهي لم تعد ترتضي استقرار أدوات الفن وجمودها في الوقت الذي يضج الواقع بكثير من التغيرات، ومظاهر القلق الجديدة لأنها لا تجنح إلى الاهتمام بالشكل وتوظيف الوسائل الفنية من أجل نزعة شكلية وتجديد زائف، ولكنها تجنح لذلك من أجل مقاومة الواقع ونقده بأسلوب يختلف عما هو سائد بين كتاب القصة القصيرة، ومن أجل ذلك تعتبر تجربة الكاتبين امتداداً متطوراً للواقعية، وليست نزعة منحرفة عنها أو معاكسة لتصوراتها لأنها تعبر عن أقصى ما تطمح إليه القصة القصيرة في البحث عن سبل التلاؤم، من

تنوير للإمكانيات الفنية الهائلة التي يواجه به الفنان أشكال الأستلاب في الواقع. فالامتداد الفني الجديد يعبر عن ذات الوقف الذي ارتبطت به الواقعية النقدية في إطار الظروف التاريخية الراهنة، مع محاولة جادة لأن تنتزع منه ما كانت تستهلكه تلك الواقعية من أساليب عنيفة أصبحت لدى بعض الكتاب قوالب جاهزة تحتوي على الموضوعات الجديدة في الواقع.

د. إبراهيم غلوم

(3)

العناصر:

مخيف هذا النص، مخيف هذا الخطاب.. ويبدو أن الكاتب ذاته صار كذلك. الاقتراب والابتعاد سيان أمام نص اقتحامي، ملتف، متماوج، لا يمنحك ذاته ولا يمنحك أسواره. يعلو على قارئه أو يتعالى ليسقط فوق رأسه، وربما سببت له الدوار. أي نص متوحش هذا ، وكيف يمكن استئناس الخطاب المتوحش، هل يمكن استئناس شجرة العليق؟

كتاب مجزأ.. كذلك يبدو، ملتحم.. كذلك هو لا تشي عناوينه بجوهر الخلق فيه. من يرى أو يسمع بكتاب أكبر من عنوانه وأوسع وأشمل؟

تتداخل في عناصر أمين صالح اللغة والرموز ويتبادلان المواقع واللغة بذاتها فعل من أفعال الإبداع، والرمز بعد آخر.. فإذا تمحورا بالتقاطع أو

بالتوازي فإن بعداً ثالثاً يتولد من ذلك. هذا البعد الجديد هو الذي يصبح متموضعاً حقاً كنقطة من نقاط التركيز والتمركز.

لعبة اللغة.. وحدها لديه محور جدير بالالتفات. فهو يصنع من اللغة أجواء ذات عبق، أساسه التوميض والتشتيت ثم التجمع حول خيط بالغ الشفافية.

إن عناصر أمين صالح نص مثير، ومثير للجدل، ومرشح لأن يقع تحت سطوة أقسى نظريات النقد وأطرفها فهو نص يسبب الصداع، وبقدر ما يؤذي القارئ ويستفزه، من حق القارئ أن يغرز أظافره فيه.

عبدالحميد المحادين

(4)

العناصر:

مجموعة قصص ذات هواجس مشتركة وأسلوب يـجمـع بين الـشـعـر والـسـرد صـالـح أو عـنـاصـره هـي كـائنـات لغوية بـامتـياز لا تـتخلـى عـن مادتـها الأولـى بسهولة ولا تطل على مراجعها في الواقع الخارجي إلا عـبر قـنـاع.. ذلـك أن «الـفـعـل» الـذي تـنحـدر مـنـه هـذه الكائـنات هو فعل لـغوي بحت لم تلزمه بسوى مشـيئة الفاعـل - الراوي لـكي تنتظم رعاياه من الـكلمات في تـراكيـب تـتشبـه بحركـات كائـنـات تسـعـى، وبأصـوات مخلوقات تعبّر عن نفسها.

«الحبكـة» الشـكلـية و«اللـحمة» المقـصودة بين كـائـنـات هـيـولـيـة لا مـلامـح لـهـا سـكـونـيـة بـالمـوت والانكسار، تجعل من هذه القصص قصة واحدة ذات مـشاهد تـتقـدم فـي بعـضها مـلامـح الـسـرد الـقـصـصـي

وتتراجع في أخرى وتشترك جميعاً في سمة واحدة هي طغيان العنصر التصويري - الشعري وإلى حد يكاد يخنق السرد ويضفي على بعض جوانبه طابعاً إنشائياً مجانياً لا مردود دلالياً له، وكأن الترصيع البياني هدف بذاته.

إلياس حنا إلياس

قصص مختارة
لراوي العدد

بابا نويل لا يحب الدمى(*)

يا نجم،
أرفق بهذا السائر ليلاً..
بدون صديق،
بدون مظلة،
وبدون حب

(أ.ص)

هناك رجل ممدد على ظهره في الحظيرة، أشبه بالميت، أو ربما هو ميت. إنه ساكن تماماً. وفوق صدره يجثم ديك وينقر عينيه على مهلٍ. يرتفع المنقار فيتقطر الدم قطرات قطرات على وجه الرجل وبين الفينة والفينة يحرك الديك رأسه يميناً ويساراً متباهياً بانتصاره وسطوته، غير أنه لا ينتبه لوجود صبي في

*) من مجموعة الصيد الملكي.

العـاشرة من عمـره يقف خلف السيـاج واضعاً يديـه في جيبي بنطلونه وينظر إليـه دونما اكتراث. يستمر الديك في التهـام المقلتين والجفنين ويبدأ فـي محو الأهداب، ولا يـكفّ إلا بعـد أن يصـيـر مـوضـع الـعـينين مـجرد حفـرتين صغيـرتين عـميقتـين يفـور منـهمـا الدم بغزارة، عندئذ يـشعر بحضور شخص مـا. فيلتفت نحو الصبي الذي لا يبدو عليه أي انفعال. يرمقان بعضهما لفترة ثم يـغمز الديـك بعـينيـه فيـبتـسم الصبي ويغـمز لـه بدوره، بعـد ذلـك يستـدير مُتَّجهاً صوب البـيت وهو يصفّر مغتبطا ومنتشياً.

صرخ الأب بقسوة! لماذا لا تأكل؟

رفع الصبي بصره عن الأطباق الموضوعة أمامه على المائدة وهمس بصوت مرتعش: لقد شبعت يا أبي.

همّ بأن يقول له بثبات ودون وجل «لقد رأيتك يا أبي ميتاً والديك يأكل عينيك»، ولكنه آثر أن يصمت خوفاً من أن ينال صفعة أو يتلقى شيئاً حاداً في مكان ما من جسمه.

قال الأب وهو يرمقه بحدة: إذاً ماذا تنتظر، قم واغسل فمك.

نهض الصبي على عجل، وقبل أن يمضي إلى الحمام ألقى نظرة سريعة على أخته التي تصغره بخمسة أعوام، فلاحظ أنها منهمكة في الأكل. ربما اعتادت الأمر أو أنها تتظاهر بعدم الاهتمام خوفاً من غضب الأب الذي قد تتعرض له هي الأخرى.

في غرفته كان مضطجعاً على السرير يتأمل السقف «لو يأتي أبي الآن ويأخذني معه للتنزه؟ لو يحبني؟ جميل التنزه في الحدائق قبل المغيب. جميل أن يحب الأب ابنه. ولكنه يكرهني من غير سبب».

سمع حركة مقبض الباب وانفتاحه فأدار رأسه سريعاً ناحية الباب راجياً أن يكون القادم أباه، وأنه جاء ليدعوه للمضي معه، إلا أنه شعر بالخيبة عندما لمح أخته تجرجر ألعابها خلفها، فعاد إلى وضعه السابق وهو يعضّ على شفتيه مانعاً نفسه من البكاء.

نادته أخته بوداعة:

- محمد

أجاب دون أن يلتفت:

- ماذا ؟

دنت من السرير:

- العب معي.

- العبي وحدك. أريد أن أنام.

حدّق في مروحة السقف طويلاً لعلها تجفف دموعه التي بدأت تطفر.

وأخذ يسير في الوحل بتثاقل ومشقّة بيِّنين، على طول جانبي الطريق الطويل الممتد، اصطف رجال ونساء بملابس غريبة منمّقة ذات ألوانٍ صارخة، يسيّجونه بنظرات محايدة ترعبه وتضاعف من عزلته، قدماه تغوصان في الوحل ولا أحد يغيثه. صامتون، ساكنون، أشبه بالمومياءات. يوشك على البكاء أو على الصراخ ولكنه يكبح انفعالاته ويواصل المسير. سيصل إن تشبث بجذر الهواء، هكذا يفكر. يرسم بأنفاسه صورة طائر سرعان ما يتجسد ويحلق فوق

رأسه. سيكون دليلي، هكذا يقول. فجأة ينبثق من بين الجموع وجه يشطر السكون بعنفه وشراسته، إنه وجه أبيه: مُتفصِّد، مُتقلِّص، مُخيف، يتحرك الفم بتشنج، وببطء - بلا صوت - كأنه يتوعَّد ويهدد. يزداد ذعر الصبي ولكنه لا يتوقف، وعندما يوقن أن الوجه عاجز عن اللحاق به، يحس بفرح عجيب يغمره وينعش خلاياه، يرنو إلى الطائر بسعادة بالغة. ولكن هذا لا يدوم طويلاً، إذ يباغته منظر يجعله ينتفض هلعاً، فمن الوحل تتصاعد فقاعات وبخار لافح، ويصير كأنه يتحرك في مرجل يغلي. يشعر بالعرق يتدفق من جسمه وبسائل ساخن يلهب شفتيه. يكتشف بأن أنفه ينزف دماً، وأذنيه ترشحان دماً، يهمّ باللجوء إلى إحدى الضفتين حيث لا وحل ولا دم، ولكنه لا يفعل لأنه يدرك أن الناس المزروعين على الضفتين سيمنعونه بالرغم من حيادهم المكشوف، لذا لا يجد أمامه غير الاستمرار فيمشي مغمض العينين، ويبدأ رويداً في الانحدار نحو الغيبوبة مستسلماً لأصوات مبهمة وصفارات وحفيف أوراق - لا يعرف مصدرها - تتزاوج في ذهنه وتختلط بعضها ببعض،

ومن بين هذا المزيج الشاذ يتشكل صوت عميق واضح النبرات: «ها قد دخلت جذري وانتسبت إلى مملكتي». فيفتح عينيه لأنه عرف أن الهواء يخاطبه، وحينئذ يلغي نفسه في مرجٍ، محوطاً بالحشائش والعصافير، يستنشق رائحة أوراق الشجر النديّة ويصغي إلى ضجيج الحشرات. يجد أمامه باباً كبيراً مفتوحاً على حديقة فسيحة ملأى بالثمار والزهور والجداول. يرفرف الطائر بجناحيه ويقول: «لقد وصلت. ادخل رحم الأمومة» ثم يختفي. يتقدم ويدخل ويخطو على الحشائش مبهوراً بما حوله إلى أن يصل

من البيت، حاملاً حقيبة مكتظة بالكراريس التي لا يطيقها يستقبل يوماً مألوفاً يدرك سلفاً مجرياته وتفاصيله الصغيرة: سيدخل الفصل ويصغي إلى أستاذه من غير انتباه وتركيز، وسيحاول أن يخاطب زملاءه دونما جدوى فمعظمهم يتحاشون الحديث معه رغم أنه لا يكنّ لهم بغضاً، وفي فترات الاستراحة سينزوي في ركن بعيد يراقب منه التلاميذ وهم يلهون ويتمازحون في الساحة، وسيأتي هشام - صديقه الوحيد - ويجلس بجانبه ويقدم له سندويتشاً يعتذر عن قبوله، وسيحاول أن يسأله، لماذا يتجنبونني؟ ولكنه يحجم عن ذلك، لأنه سأله مراراً، وفي كل مرة كان يتلقى إجابة ثابتة لا تتغير: بسبب أبيك.

«أبوك ضابط. قتل رجلاً أعرج لم يستطع الهرب أثناء مظاهرة سلمية. أطلق عليه من الخلف، وعندما سقط الأعرج دنا منه وانحنى فوقه؛ لم يكن قد مات بعد، ولكي يُخرس توسلاته أدخل المسدس في فمه وأطلق. انفجرت جمجمة الأعرج».

بعد الظهر، اتجه إلى غرفة «شريفة» الخادمة، وجدها ترتّق ثوباً، رفعت بصرها نحوه وابتسمت له ثم

واصلت عـملـها. اقـترب منـها وجلـس بقربـها علـى السـرير، أخذ يـراقب ما تفعـله ويتـأمـل وجهـها. لـقد اعـتاد أن يـجلـس معـها ويحدثـها. لذا لـم تـسـأله عـن سبب مجيئه. بعد حين:

- أنت جميلة.

ضحكت وقالت دون أن تترك ما بيدها.

- أعرف.

- لماذا لم تتزوجي بعد؟

نظرت إليه وتنهدت، ثم أجابت مازحة:

- لأنني لم ألتق بالشخص الذي يحبني.

- أنا أحبك.

ضحكت ثانية. لضحكتها رنين مدغدغ يحلو له الإصغاء له.

- حبك يختلف.

- وأبي.. هل يحبك؟

- ارتجفت شـفتـاها وتـظاهـرت بأنـها لـم تسـمع وعـادت

إلى رتق الشوب يبدو أنه لحظ ارتباكها ، إذ استدرك قائلاً بصوتٍ خافت مسموعٍ:

- لا... أبي لا يحب أحداً.

- إنه يحبك.

- لماذا يكرهني؟

- قلت إنه يحبك ولم أقل إنه يكرهك.

- إذاً لماذا يقسو عليّ، ولماذا لا يدعني أرى أمي؟

- لأنها تعيش مع رجل آخر.

(أذكر كيف جرّها تلك الليلة من شعرها حتى عتبة البيت وركلها في بطنها ورأسها بلا شفقة. لم يرحم ضعفها ولم يرقّ قلبه لصرخاتها وتوسلاتها ، تركها دامية الوجه شبه عارية ولم يسترها بغطاء. كنت صغيراً آنذاك وأنا خشيتُ أن تشهد هذا المنظر البشع فأقفلت عليك الغرفة. طلّقها تلك الليلة، وما عدت أراها. لن أحكي لك هذا. اذهب والعب خارجاً، فلا جدوى من الأسئلة).

فرشت الثوب بعد أن انتهت من رتق موضع منه:

- ما رأيك فيه الآن؟

- عندما أكبر سأشتري لكِ ثوباً جديداً.

في المساء، أمام إلحاح أخته لم يجد بدّاً من الانصياع لطلبها ومشاركتها اللعب بالدمى والألعاب العديدة المبثوثة في الأرجاء.

«محمد انظر، بابا نويل أحضر هذه الدمية الحلوة. جاء من الشباك. لا، كان في الدولاب مختبئاً، كنت نائماً، أنا رأيته. كان يحمل على ظهره صرة كبيرة مليئة بالألعاب. كل ليلة يأتي ويعطيني لعبة. يقول لي يا أميرة. محمد، أنا أميرة».

لم يكن ينصت باهتمام كان منهمكاً في تركيب لعبة معقدة وعندما انتهى من ذلك راح يساعدها في تشغيلها ويراقبها وهي تضحك جذلى. وبعد مضي ساعة أو أكثر بدأت الصغيرة تتثاءب، فطلب منها أن تنام وأخذ هو يلملم الأشياء ويرتّب المكان، بعد ذلك اضطجع على فراشه ولكنه بات يقظاً ولم يراوده

النعاس. (يجب أن أحصل على عنوان أمي. شريفة لا تريد إخباري، دائماً تتهرّب من الإجابة. الآن سأجعلها تبوح لي بذلك. سأخبرها بأنني مشتاق كثيراً إلى أمي وأنني أحتاجها. ستشفق عليّ شريفة).

وبهدوء تسلل من غرفته. كانت ساعة الحائط تشير إلى العاشرة والربع، وكانت الإضاءة خافتة، غير أنه يعرف جيداً الطريق إلى شريفة. طرق بابها لم يسمع رداً، فتح الباب، الغرفة مظلمة وهي لم تكن هناك. استغرب من عدم وجودها في هذه الساعة، بحث عنها في المطبخ وفي المخزن، أيضاً لم تكن هناك. وفي أثناء عبوره أمام حجرة أبيه سمع همسات وتأوهات وشيئاً أشبه بالفحيح. لم يستطع مقاومة فضوله، رغم الخوف والرهبة والحذر، إلا أن ثمة رغبة عنيفة أخذت تستدرجه وتجذبه نحو مصدر الأصوات. دفع الباب قليلاً، لم يكن مغلقاً، والأصوات ازدادت وضوحاً. دفع أكثر، تسمّر في مكانه مذهولاً، فاغر الفم، فاتحاً عينيه على سعتيهما. لقد رأى أباه (..........)، بعد لحظات انتزع نفسه من مكانه وركض صوب الحمام وهو يكبت بكاءً يصطخب في

داخله، وفي الحمام بدأ يجهش مقهوراً ويائساً. بعد حين هرع إلى غرفة شريفة. هدأ بكاؤه ولكن هياجه كان يستعر ويتجاوز حده. أخذ يفتش عن شيء ما، وجد الثوب الذي كانت ترتقه ظهر اليوم وراح يمزقه بيديه وأسنانه ثم يقذف به على الأرض ويدوسه.

في رقعة جرداء مقفرة تحفها شجيرات صبّار وعلب صدئة وقناني فارغة، يجلس الأب منكس الرأس موثوق اليدين من الخلف على كرسي من حجر يتسرب منه الغبار وينسكب على الأرض من جميع الجوانب. ثمة غراب أمام الكرسي يحفر بمنقاره قبراً. أما الصبي فيدور حول الأب تارة ويقف أمامه، تارة مشيراً ناحيته بسبابته وهو يصيح - دون صوت - كأنما يتهمه. يرفع الأب رأسه ويتكلم - دون صوت - كأنما يدافع. ملامح وجهه تعبّر عن المذلة وتوحي بالاستجداء. بغتة تنبت الأرض نساءً (....)، شاحبات، معصوبات الأعين. شعورهن أغصان مورقة، ومن جروحهن العديدة يتدفق الماء. يحلّقن في الهواء ثم يتلاشين. والأرض لا تتوقف عن الإنجاب، مزيداً من النسوة الشجرات، النسوة المائرات، النسوة

النسائم، تصحبهن رغوات ملونة وترانيم ملائكية. مهزومات مهجورات موؤدات كأن التربة تنفث مزاميرها، تنثر مراثيها، لعل قافلة الرياح الرحيمة ترأف بها وتسكنها هوادجها. والصبي يذرف الدمع بينما الأب يحملق مفزوعاً، ويزداد فزعه حين يلمح حبلاً دائرياً يتدلى ببطء من فوق، من مكان مجهول، ويلتف حول عنقه، فتتغير سحنته وينسلخ جلده. يحل محله جلد أخضر. يصبح بشعاً ومخيفاً. تنمو أنيابه وتكبر أذناه، ومن فروة الرأس ينبثق قرنان حادان يلمعان. حدقتاه تقدحان شرراً، ومن شدقيه الواسعين يخرج ثعبان هائج يفحّ ويقطر لعاباً ساماً، يتحرك نحو الصبي الذي يقف رابط الجأش غير خائف. فجأة يتقهقر عائداً إلى المكان الذي خرج منه. يلتفت الصبي فيرى قطيعاً من الأيائل يدنو، يتقدم أيل ويجثو أمامه فيمتطيه.. عندئذ ينطلق القطيع.

في اليوم التالي حاول أن يتجنب التقاء نظراته بنظرات شريفة. لقد انتصب حاجز كبير بينه وبينها منذ أن خانته. الخيانة هي تلك الكلمة التي وجدها تعبّر تماماً عن فعلتها البارحة. هي الآن تبدو في نظره

ساقطة ومقرفة ومتواطئة ضده. كل حركة منها تولّد في صدره بغضاً لا حدود له.

(أردت أن ألجأ إليك لتخبريني عن مكان أمي. كنت مستعداً لأن ألثم أصابع قدميك لو طلبت مني ذلك، ولكنك انحزت ضدي وارتميت على الفراش الذي حرمت منه أمي.

صرت لا أشتهي أن أكلمك ولا أن أراك. صرت أشتهي موتك: ولن أغفر لك).

حزن شريفة كبر حجمه، تسلل قبل أن يسدل الجفن غطاءه على المقلة. شاحبة ضامرة بدت. تتكئ على جدارٍ رخو وتتخيّل نفسها كهفاً تستوطنها الخفافيش. لماذا يحدث لها كل هذا؟ حين أبصرت الثوب الممزق فهمت المسألة، وحين سقط الطبق من يدها وانكسر أدركت أن الشرخ يغزو نسغ كل شيء لا محالة، وأنها أول من ستتعرّض للرجم بالطين أو بالسكاكين.

(كيف أشرح لك وأنت صغير؟ لقد رأيتَ ولم تر. ما أصعب أن يكون الطفل قاضياً. تتحاشى أن

يقع ظلك على ظلي؟ إذاً أدر وجهك شطر أي بئر تصادفها واغمس راحتك في مائها، سترى ما لم تره. يوماً ستفهم ما معنى أن تكون المرأة خادمة، وأخشى أن تصبح مرآة لأبيك قبل أن يصل ذلك اليوم، وقتئذ ستفهم بشكل آخر. يبدو أن المطر سينهمر بعد قليل. كم أنا حزينة اليوم).

وقف أمام النافذة يرنو إلى الخارج عبر الزجاج وعبر قطرات المطر التي تطرق الزجاج برفق، وشيئاً فشيئاً تكسو سطحه أو تمحوه. هناك الحيوانات تغسل جلودها مغتبطة، وزمرة من الصبيان على دراجاتهم يتنزهون، وبلابل مبلّلة تبحث عن أعشاش دافئة. وكان يمكن أن يستغرق في تخيلاته لولا نداء أخته طالبة منه أن يلعب معها.

صاح في وجهها بحدة: اصمتي.

انكمشت قليلاً ثم عادت إلى اللعب بمفردها. واستأنف هو مراقبة هطول المطر الذي بدأ يشتد. للمطر حوافر، لخطواته على الأسفلت وقع صاخب. الغيمة وحدها لها الحق في ترويض هذا الوحش الأليف

الذي يأكل اللجام كما يأكل الجزرة.. بهدوء وتأنٍ. يتغلغل في كل مكان، يغور في التراب، يمازح المظلات والقبعات، يتحد بعناصر الهواء. وعندما يكفّ عن عبثه ويتعب، تحمله الغيمة بين ذراعيها وترسو به في فضاء آخر.

مرة أخرى سمع نداء أخته وأحس بها تقترب منه.

- انظر يا محمد إلى هذا الدب. أحضره لي بابا نويل وأنت نائم.

قال لي:

استدار فجأة وضرب ذراعيها الممدودتين فوقع الدب على الأرض. صرخ:

- أنت غبية، بابا نويل يخدعك.. بابا نويل لا يحبك.

انفجرت الصغيرة في البكاء.. استفزه صياحها ولم يدر ماذا يفعل. كان الغضب يتأجج داخله ويستنفر أعصابه المتوترة. لبث في مكانه برهة ثم اندفع راكضاً، وكاد أن يتعثر على السلّم ولكنه تماسك

وانطلق خارجاً بأقصى سرعته. المطر كان ينهمر وهو يعدو، لم يحدد جهة معينة يقصدها بل راح يعدو كما لو أنه يهرب من شيء أو كائن مرعب. اتسخ حذاؤه بالوحل، تبللت ثيابه، تموّجت المرئيات أمام بصره ولكنه لم يتوقف بل ظل يجري، يسبقه لهاثه وتتبعه آثار أقدامه. ساقاه ازدادتا عزماً وتصميماً ولم يصبهما الوهن. تكسرت الأعشاب تحت مواطئه، تفتت الحجر. انسحق الطين..

يعدو، حوافر تعدو، جواد يعدو. على ظهر الجواد يستقر الصبي ممسكاً باللجام ويطلق صياحات عالية ومبهمة. يعبر السهوب، يقتحم مشارف الغابة ويتوغّل في أحشائها. تحيد عنه المستنقعات وتفسح له الفروع طريقاً ويسمع همس التمساح للبومة «إلى أين يمضي هذا الفارس المستعجل؟». يجتاز الصحراء وصخور الجبال، يمرق تحت الشلالات وفي عمق المغارات. وكل الكائنات تخرج رؤوسها وترمق بإعجاب هذا الخيّال الذي تولّه بالسفر وعلّم حصانه قراءة الخرائط.

في أقصى الوادي يلمح شجرة تفاح يكبر

حجمها كلما تدنو منه. يطلق صرخة مزلزلة إيذاناً بوصوله. هائلة هذه الشجرة مكتظة بالثمار، تنتصب بمفردها في العراء كأنها ملكة لم تتوّج بعد. على غصن تقف غزالة وتنجب وليداً بشرياً، على غصن آخر أطفال عراة يقوزحون الضوء ويرشقون الحوذيين - الذين يمرون في صمت - بالأكاليل والقش. وتحت الشجرة امرأة فاتحة ذراعيها ترقب القادم وتبتسم. يترجّل الصبي ويهرع إلى حضنها فتحتويه بذراعيها وتقبّل رأسه.

- لماذا تأخرت يا حبيبي؟

- جئت في الموعد يا أمي.

- جميع الفصول جاءت ثم ملّت الانتظار وذهبت أنا نفسي كدت أيأس.

- أمي.. أنا وحيد. أبي أخذ شريفة، وبابا نويل خطف أختي.. ليس حباً فيهما ولكن كرهاً لي.

- لا تخف يا حبيبي، أنا هنا.

تضع أناملها الرقيقة تحت ذقنه وترفع وجهه.

تلمح دموعاً، فتقول بحنان دون أن تفارقها ابتسامتها العذبة:

- أنت تبكي؟

- أريد أن أبقى معك.

تقبّل وجنتيه.

- ليس الأمر بيدي.. سأمضي الآن.

يقول مستغرباً غير مصدق ما يسمع.

- إلى أين؟

- سأمضي.

تبتعد عنه. حوذي كان ينتظرها. لم يتبين وجهه فقد كان يغطي نفسه برداء أسود. ولما صعدت إلي العربة، صاح بخشونة:

- عودي.. عودي.

تحركت العربة.

- أنا أكرهكِ.. أكرهكم جميعاً.

وحين مرّت العربة استطاع أن يرى الحوذي جيداً. لقد كان هيكلاً عظمياً.

توقف المطر الذي استمر ساعات. تزحزحت الغيوم. تمتم الصبي: «أخمّن أن السماء ستمطر قبل غروب الشمس».

توجه إلى دار صديقه هشام وهو يحمل حقيبة جلدية صغيرة. دعاه للتجوّل. مشيا معاً وتحدثا عن المدرسة والمذاكرة والكلاب والأشياء التي يصادفانها. سأله هشام عن الحقيبة، فأجاب بأنه جلب معه طعاماً. اقتنع هشام بالإجابة. وصلا إلى مكانٍ ناءٍ ومنعزل. جلسا على العشب وتحدثا قليلاً، وعندما اضطجع هشام علي ظهره فتح الصبي حقيبته وأخرج مسدساً راح يتأمله برهة ثم أدناه من وجه صديقه الذي ما إن رأى المسدس حتى نهض مفزوعاً.

- حقيقي.

- نعم، ومحشو أيضاً.

- من أين لك هذا ؟

- إنه مسدس أبي، أخذته دون أن يعلم.

كان هشام مذهولاً، ينظر إليه باستغراب.

- أنت مجنون، سيمزق جلدك إذا عرف بالأمر.

- لن يعرف. سأعيده قبل رجوعه.

- ولماذا تحمله معك؟

- أتسلى به فحسب.

أثارته أكثر، رباطة جأشه وهو يربت على المسدس عليه كأنه يلاطف هرّة، وأفزعته أكثر تلك الابتسامة الغامضة التي ارتسمت على شفتيه.

- إذا لم تُرجع هذا الشيء الآن، سأذهب ولن أكلمك مرة أخرى.

نهض الصبي متململاً:

- لا تكن غبياً. ليس الأمر خطيراً إلى هذا الحد.

- هذا الشيء ليس للتسلية، وأنت تعرف ذلك.

- بهذا نستطيع أن نصطاد الأرانب من هنا، هل تريد أن نجرب؟

- سأذهب.

تحرك هشام. ازدادت ابتسامة الصبي غموضاً. صوّب المسدس نحو ظهره.

- عد.

لم يلتفت هشام ولم يتوقف. ظهره كان قريباً. تسلل الإصبع إلي الزناد. الفوهة مصوّبة نحو منتصف الظهر. لحم طريّ. هدف كهذا لن يخفق في إصابته. لامس الإصبع الزناد. الظهر مكتنز بالدم. الإصبع. الزناد. الظهر. الأم. الغزالة. شريفة. هشام. الطفل. الرجل. الكهل. الدم. اللحم. القلم. العالم. وضغط على الزناد، ومع الطلقة المدوّية التي انفجرت بغتة، خرج هتاف صارخ عنيف من جوف الصبي: يحيا الأب.

يا نجم،

آن لك أن تخبو،

فما عاد الوحيد وحيداً.

(أ. ص)

1980/8/28

* * *

طفلة(*)

لم يكن عادياً ذلك الضباب الذي احتل المدى، في تلك الليلة، وانتشر في أرجاء المدينة. كثافة عطّلت حركة المرور وأغلقت الحوانيت وأرغمت الناس على اللجوء إلى منازلهم. خلف النوافد تحصنوا يرصدون هذا النسيج المتشابك الهائل، هذا الزحف الفريد الذي نثر فلوله أفواجاً لترابط في الممرات والأزقة والساحات والميادين.

لم يصادفوا ضباباً كهذا منذ زمن. غداً عندما ينقشع سيتذكرون الليلة ككابوس أو كغزو فضائي أو كبطاقة دعوة للتوحّد بعثتها الطبيعة. الآن، يراقبونه من خلال الزجاج، وحيناً يتبادلون الحديث عن الطقس والعشاء والسهرة المؤجلة.

*) من مجموعة الطرائد.

آثروا البقاء والتمترس خلف قلاعهم الآمنة. لم يجرؤ أحد على الخروج سوى الشحاذة الصغيرة.. لأنها لم تكن بالداخل، لأنها اعتادت النوم علي الأرصفة وعتبات البيوت، إذ لا أهل لها ولا مأوى.

عندما رأت الصغيرة الضباب قادماً نحوها اغتبطت وانتصبت في وسط الطريق مرسلة ذراعيها تستقبل زَبَدَ الهواء وروح الثلج. لم تجبن أمام الزحف الوديع، الاجتياح العذب، بل أباحت نفسها - بطواعية ولهفة - للأسر.

سيحتويها المد الساحر، وستصبح إحدى ذرّاته. حينئذ ستتجول بحرية في كل الأقاليم، تسمو تحلق تنحدر، لن يزجرها أحد. تقدر أن تصير فراشة إن شاءت.

هكذا وقفت بثبات، وما أن لامست الطراوة وجهها وباقي أجزاء جسمها حتى اكتست بجلد جديد أبيض، كأنه من ضوء. كانت الأنفاس النديّة قريبة منها، قريبة إلى حد أنها تستطيع أن تشمها، أن تتّحد بأنفاسها. وشعرت بالجزئيات اللامرئية تتغلغل

في خلاياها. كان احتواءً اندماجاً اتحاداً حميمياً. بالتدريج خفّ وزنها، تقلّصت أطرافها، تضاءلت. صارت بحجم جنين. فقطرة، فذرّة.. ثم تلاشت.

سكان البيوت المحيطة اضطربوا حينما شاهدوا الضباب يغمر الطفلة.. كأنه يمتزج بها، كأنه يبتلعها. ولما تبدّد الضباب خفقت قلوبهم وارتجفوا لأن الصغيرة لم تكن في موضعها. اختفت في ثوان.

اختُطفت. هي الآن في جوف الوحش.

في اليوم التالي عاد طقس المدينة إلى صفائه وهدوئه، وخرج الأهالي يبحثون عن الصغيرة ولكنهم لم يعثروا عليها. ظلّت حديث الناس لعدة أيام ثم نسوها.

بعد ثمانية أيام، توقّع مركز الأرصاد الجوية حدوث ضباب خفيف، لا يُقارَن بذلك الذي اكتسح المدينة، وأكّد على عدم خطورته.

في المساء، بينما كانت عائلة ما تتناول عشاءها، سمعت طرقاً علي الباب. نهض أحدهم ليرى من الطارق. وعندما فتح الباب لم يجد أحداً، غير أنه

لمح ضباباً يبتعد مسرعاً.. متقمصاً شكل طفلة يتطاير شعرها في الهواء.

الكثيرون سمعوا الطرقات في تلك الليلة، وأبصروا ضباباً علي هيئة طفلة. وبعضهم جزم أنها الشحاذة ذاتها.

* * *

في المدى سرير يشتعل(*)

وجه امرأة

من الجبين يتدحرج الحاوي سبع مرات قبل أن يستقر على الأرض برشاقته المرصعة بالألفة. يختبر الجهات ويخلط الجهات ثم يمضي، غير مكترث بهرج البوصلات، مصطحباً كراته الصغيرة وشرائطه الملونة وتلك العصا الأبنوسية المصقولة التي يلوح بها متباهياً بفرادته.

* * *

في الساحة، يرتقي منصة، اتخذها منذ أيام مسرحاً يقدم فيها عروضه السحرية، ويبدأ في تجنيد حيله وفكاهاته لينثرها أمام جمهور مجبول بالفضول. غير أن أحداً لا يقترب من موضعه. كأنهم لا يرونه، كأنهم يتجاهلونه. آنئذ ارتاب في موهبته. وأيقن أن

*) من مجموعة العناصر.

خفته قد فقدت جاذبيتها، وأن ألاعيبه لم تعد تثير الإعجاب. فيحزم حيله وفكاهاته، ويحمل أشياءه ثم ينزل مخذولاً، تاركاً المنصة وحيدة تستحضر صخب الأمس المتجمهر الذي أضحى الآن محض ذكرى.

* * *

أمور غريبة حدثت منذ أن جاء هذا الحاوي إلى بلدتنا:

الأشجار بدأت تخاطب البشر.

العصافير فتحت أقفاصها وطارت.

الأقفال تتفتت عندما تلامسها اليد كأنها مصنوعة من طين.

الفوانيس تنتقل من مكان إلى آخر.

قاسم حداد الضرير أقسم - وهو الذي لا يكذب أبداً - بأنه شاهد بقرة في غرفته، وعندما دنا منها، ضحكت واختبأت في الجدار.

أم هشام الممسوسة التي كانت تعوي كل ليلة، هدأت فجأة وصارت وديعة بعد أن أخبرها الحاوي بأنه رأى ابنها الوحيد في البلدة المجاورة.. وكلنا نعلم بأنه مات قبل سنتين.

وخلف، بائع الحلويات، لا يقدر أن يرفع رأسه. إنه يسير مطأطئ الرأس حياءً فقد صفعه ابنه غسان أمام الناس لمجرد أنه حذره من رؤية الحاوي.

من كان يصدق أن بلدتنا الآمنة يمكن أن تتزلزل هكذا. دخل الساحر وفتح صندوقه، فخرجت منه الشرور والفتن. وينبغي علينا، نحن سادة البلدة، أن نمنع الكارثة قبل فوات الأوان.

* * *

بيت يحترق. لهب يخوض في أشياء كانت تنتسب إلى حاوٍ فقير، طيب القلب، ورث الفطنة والمهارة من أسلاف اغتسلوا بالهجرة تلو الهجرة، ومنهم تعلم أبجدية الحركة، وأتقن قراءة النبوءات المربوطة في الآفاق وكان له في المدى جذر ينسج به وطناً يسكنه ليبكي فيه وحيداً.

بأنامله يبتكر حركة خفية، مراوغة، مرنة تبهر أنفاس جمهوره. وبأدواته البسيطة يعلمهم أن كل شيء ممكن لو نفضوا الغبار عن الأعين.

بيت يحترق، وما من دلو يتدلى أو يدنو. جمع

يحتشد ويراقب. الأغلبية تشمت. القلة تأسف. لم يؤذ كائناً، لكن البراءة تقتل.

- مساء الخير، أيها الحاوي.

يحيّيه النجار المرح، الذي يكسو أطراف بابه بالمسامير.

- الهب صدغيّ بما لديك، أيها النجار. أريد أن أشرب.

- ومعاً سنرجم الضجر.. بأحاديث لبقة.

معاً يصمتان. يصيخان لرنين العواصم التي تذرع الخرائط بينما يحتسيان بين الحين والحين جرعة.

انظر، لكل فرد عاصمة يسوّر رسغها بالأجراس أو الخلاخيل. يصقلها بالقار والياسمين، يتفيأ تحتها ويتدفأ بها. أما أنت. أيها الصديق، فملعون بالرحيل من واد إلى واد، أعزل إلا من خيمة تطويها تحت إبطك لتنصبها في ضاحية منبوذة، دليلك حمحمة نهار محايد لا يقدر أن يصون خطاك، وكل أرض تجس أنفاسك تشتعل. إصغ إلي، لا تصافح إلا اليد المضرجة بالهجرة.

معاً يصمتان، إذا تكلما، فكل منهما يرى في

فم الآخر مدينة تضج بالأرياف والنبيذ والنساء اللواتي يسرحن شعورهن عند النبعَ ويهزجن، والموائد العامرة والأكباش والأرصفة المغسولة بماء الورد.

لذا، يحتسيان الشراب دون أن ينبسا.

* * *

على الشاطئ يسير وئيداً، مستنشقاً النسمات الندية، ويقيس ببصره الامتداد الفسيح. ضوء القمر المنتشر يهب المكان بهاءً نادراً، غير أنه في تلك البقعة البعيدة - حيث الضوء أكثر سطوعاً، وكأنها البؤرة التي تحتشد بداخلها مسارات الضوء وانعكاساته - يلمح عالماً مستقلاً يشع ببريق أخاذ يجذبه، يدعوه أن يتقدم دون تردد.

على الشاطى، بالقرب من الأمواج المتسللة برعونة خارج حدودها، يرى امرأة متمددة على سرير مكلل بالأصداف هي نائمة، والضوء يحرسها.

نوفمبر 1983

* * *

صـالـح باعـامـر

من مواليد 1946 ***(اليمن). روائي أصدر مجموعتين قصصيتين: حلم الأم يمنى*** 1983، ***دهوم المشقاصي*** 1992 ***إضافة إلى مجموعة «بعيداً عن البروتوكل».***

المدينة التي لم أحلم بها

خطوت ملهوفاً نحو حياتي الأولى.. الوادي بدا لي متراقصاً وباسطاً ذراعيه.. التلال، الروابي، الكهوف تحكي قصة حب لم تكتمل.. الجبال تحرك هاماتها ولم تفلت من الضباب.. تلك الربوة تنادي لأنسج فوق صهوتها أخيلتي وأركض نحو (سما).. في ذلك الغار كنت أخبئ مصيدتي لتتسلل إليها الطيور.. الطريق يتلوى كثعبان أبيض وطأت القمة

واخترقت السحائب.. صار كل شيء تحتي.. بدأ الوادي تائهاً إلى مشاهدة قصة يحيلها مخرج نبيه إلى فيلم غير مألوف.. تعانقت سعفات النخلة التي كنت أتظلل بها فوجدتني أدس يدي في جيبي وأحرر قنينة عطر ثم أتطيب منها مذ أهديتنيها (سما) في يوم ختاني ولو فعلت اللحظة لاستعدت اشتمام قلبي المحروق.. كانت متميزة بين النسوة في ذلك الصباح وهي ترتدي الثوب الأخضر الذي كشف أسراراً جمالية لم أتبينها فيها من قبل.. ابتساماتها عادت اليقين الذي مدني بالثبات أمام نظرات العم «سما» الممسك بالموسى.. المحتشدون في الساحة ينتظرون لحظة البدء، العيون كل العيون تنظر إليّ وأنا لا أنظر إلا إلى التي أخالها نجماً تألق وسط الجمع النسوي. فجأة خطف بصري وميض الموسى.. في أقل من الثانية انسلخ من وسطي الجزء الجلدي الذي يغلف رأسي حربتي دون أن أحس بألم رغم القطرات الحمراء المنسابة من المكان الذي اقتطع منه ذلك الغلاف.. انتهت العملية دون أن أواجه ما كنت أهابه.. نظرة العم «سما» بعد الختان هي التي استشعرتها. تهنئة

بانتصاري على الموسى تلك النظرة التي عبرت عنها الزغردات التـي كانت البلسم لآلام الختـان.. كانت الساحة خالية إلا من إخوتي الثلاثة الذين انشغلوا بإعداد نقلي إلى الكهف الذي يعلو الجبل لأقضي فيه فترة العلاج بمنأى عن هجمات الحشرات واشتمام الروائح التي يعتقد أنها تلهب الجرح. في الكهف هنأت بالطمأنينة وباستبطان الذات ومناجاة طيف «سما» والذوبان في المكان الذي يوحدك بذاتك ويحثك على فك مغاليف كيان وتغيراته في ذلك الصباح الذي ابتدأ فيه جرحي يندمل أنبأني كائن يدب أمامي أن المطر قادم.. نظرت إلى السماء فرأيت تكثف السحب وومضات البرق والرياح الباردة المتسللة والرعد المكظوم في جهة الغرب.

اسود المكان وأحلكت البسيطة فتناغمت حبات المطر النازلة محدثة طقطقات إيقاعية وهي ترتمي فوق الأرض التي تحولت إلى شلالات تنسكب وكأن السماء توشك أن تلتحم بالأرض.. مر الصباح وانقضى الليل وأطل صباح جديد مظلم فلا شمس ولا من يلبي النداء أنظر إلى القرية فأراها تغرق أقدر

الزمن فأخمن أنه يقترب من الغروب.. هاهو اليوم السادس يلفظ أنفاسه.. لو لم يحدث ما يحدث لأيقنت أن مغادرتي الكهف غداً أو بعد الغد.. السيول تندفع من الأودية الثلاثة نخيل تتهاوى منازل تتهدم، أحجار تتساقط تربة تنجرف وتذوب وسط المياه.. من بعيد رمقت شخصاً يتجه إلى قبل أن يطأ طرف الجبل أراه يضع حمله فوق مرتفع جبلي ليرتقي مرتفعاً أعلى.. لم أعد أراه اللحظة لكني متيقناً أنه قادم إليّ لا محالة، فلا مكان يمكن أن يذهب غير الذي أقطنه.. هاهو قاعد أمامي يقدم لي خبزاً وتمراً ويصب لي قدح ماء من إبريق فخاري إنه «السواري» أخي الأصغر. تركته يتنفس الصعداء وقرأت الحزن الذي يكسو وجهه وأي حزن إنه السواري أقرب إخوتي إلي وأعرف كل ما يخفيه وهو أيضاً رسولي إليها حين أعجز عن ملاقاتها..

- ما الذي حدث؟

- لا شيء.

- كيف أبي وأمي وإخوتي؟

- بخير.

....

....

- كيف هي؟

....

- ما بك؟

مطرقاً:

- خطفها السيل وهي تحاول إنقاذ أغنامها.

نزعت قطعة القطن من فوق جرحي وتركت الكهف رغم محاولات السواري لإثنائي انطلقت وفوق حافة الوادي تابعت جريان المياه.. همت في الأرجاء ساعياً على غير هدى سائراً بمحاذاة السيل المنحدر فوق الدرب المؤدي إلى ساحل المدينة أتوقف عند خيمة لأجد ما آكله أو عند صرم أرتشف قهوة تدفيني أو أرتاح عند قافلة وأشرب لبناً، إلى أن انتهى بي المطاف في المدينة منذئذ غدوت أصابح البحر وآماسيه وهو يبتلع السيول المتدفقة من أعالي الجبال.. مرت

السنون قدرتها بزمني أياماً إلى أن نظرت في أحد الأيام إلي وجهي في المرآة فباتت أخاديد عقود من الزمان وعلى الفور قررت العودة إلى المنبت علي أجد الملاذ بعد أن يئست من البحث فلو لم أدر ظهري للمدينة منذ البدء لما اخترت غيرها ملاذاً أما وقد غدوت في هكذا عمر فالعودة إلى القرية هو القرار المتاح لي.. وقفت في الوادي أمام الماء المنهمر فانقشعت ذاكرتي عن انسكاب تلك الشلالات التي شكلت السيول والانجرافات وغرق الناس وخطف «سما» فأشحت بوجهي:

الوقت عصراً عندما رأيت جماعة لم أعرف أفرادها تتجه إلى الساحة، نفس الساحة التي تم فيها ختاني.. أزلت سعفتين تشابكتا فأيقنت أن عرساً

توضأت في القلت واتخذت لي مكاناً في آخر صف. رفعت رأسي من السجدة الأولى. من الركعة الأولى فلم أر أمامي أو خلفي أو بجانبي من أحد يصلي، أكملت صلاتي وأطلقت ساقي للريح مستتراً بالنخيل ولذت إلى خيمة خاوية حين أقبضت الظلمة بالمكان.. انتصف الليل وأشاع القمر أنواره.. وقمر قريتي ليس كأي قمر القمر في المدينة يجد من ينافسه أما هنا فهو مصدر الضياء والصفاء والجمال وقمر قريتي يدفعك للتأمل والحب وإلى مغامرة ما.. أودعت رأسي ساعدي وزندي ثم رفعته لما تناهت لي نغمات مزمار ثبت من جهة شمال الوادي فقفزت.. تتبعت النغمات إلي أن وصلت المكان الذي قدرت أنها ناشطة فيه توقفت حائراً لما لم أجد أحداً هل الذي يحدث هو رفضاً لي إذن المدينة هي المأوى لي لا وهي

«عد إلى مدينتك»

«..........»

«عد وإلاَّ.......»

وجدتني أتتبع نقيق ضفدعة عندما بدأ النخيل يبتلعني وكان القمر حينئذ يميل إلى السواد..

* * *

شريفة الشملان

السعودية. أصدرت ثلاث مجموعات قصصية: منتهى الهدوء 1989، *مقاطع من حياة* 1993، *وغداً يأتي* 1997.

بيدبا الفيلسوف يكتب قصة جديدة

حك بيدبا الحكيم رأسه، وخلل بأصابعه لحيته، وسأل بصوت عربي بلكنة تختلط بين فارسية وهندية أين ابن المقفع؟

كنت أداوي جرح يدي الذي لم يندمل منذ فترة طويلة، حين التفت إليه وقلت: يا سيدي لقد أتيت متأخراً جداً لقد مات ابن المقفع منذ زمن بعيد، صار رماداً ولم يشفع له عند الوالي أدبه الصغير ولا الكبير،

قال بهدوء كمن لم يفاجأ: إذن مات.

مط شفتيه قليلاً ثم حرك رأسه بهدوء بسيط، ذكرني بحركة بندول ساعة جدتي الحائطية، وأكمل. والقصة من يكتبها إذاً؟

تحفز عقلي ويدي وانبريت لهذا الصيد العظيم، قصة لبيدبا الفيلسوف، في القرن الواحد والعشرين بين يدي، يالحظي الجميل، والذي نزل من السماء كي أتلقفه قبل أن يصل ليد غيري خاصة والكتاب كثر.

قلت له يا سيدي أنا امرأة أعالج الحرف منذ سنين عجاف بعضها مثمر بعضها الآخر، يغلبني كثيراً وأغلبه قليلاً، هلا منحتني شرف خط قصتك الأخيرة.

عندما بدأ يتكلم كان صوته متقطعاً ومبحوحاً، فشعرت بنشوفة حلقه قدمت له قهوة عربية مبهرة بالهال والزعفران، كما أقدمها عادة لأعز الضيوف، لكنه لم يستسغ طعمها، وفضل شرب ماء دافئ، اتكأ وأنشأ يقول وأنا أكتب، تمتزج أحياناً كلماته العربية بكلمات فارسية وهندية وكان علي أن أستعين

بقواميس لحل بعض الكلمات، فإن لم أجدها ، رحت أتخذ من الموقع في الجملة تعبيراً مناسباً فكانت الحكاية كالتالي.

في زمن بعيد جداً قبل أن تعمر هذه الأرض، كان هنالك أرض بعيدة جداً، بين الشمس والقمر، ليست كهذه الأرض هي مدورة لكنها تدور بسرعة عجيبة فيتغير زمانها ، بفترات قصيرة فشتاؤها أيام وصيفها بضع ليل وأما خريفها فيكون كالحلم، والربيع يمضي كطيف، مر يومها بضع ساعات وليلها لا يشبع النائم، وهناك في تلك الأرض البعيدة الموغلة بالقدم كانت تعيش حيوانات كثيرة، فالإنسان لم يوجد عليها ، ولن يوجد فمازالت خالية منه، لم تكن الحيوانات تعيش في وئام ولا سعادة، فالطيور تخاف كثيراً، وعندما تعدد أعداءها تغلط في حسابهم، وكذلك الزواحف والخيول والحمير، وكانت الثعالب تحاول أن تتغلب على التعاسة بصنع مقالب هنا وهناك، يستسيغ الأسد مقالبها أحياناً ويزمجر في أحايين كثيرة.

كان الثعلب يتربص بالحمام ليأكله وأحس الحمام

بالثعلب فقال وهو يهدل، ببقبقات جميلة لجماعة الحمام بالخطر المتربص به، فكان أن طارت الحمامات بعيداً، ومر الثعلب علي الدجاجات وقال في نفسه سآكل فراخها بعد الغروب، لكن الدجاجات أحست الخطر، وحمت فراخها منه.

ومثلما كان مع الثعلب كان مع الذئب، ومع النمور، وبدأت تشعر بالخطر خاصة وأن لكل حيوان لغة يتفاهم بها مع بعضه البعض، فكان أن اجتمعت الثعالب والذئاب والنمور إلى ملك الغابة، شكت له أمرها وأن الصيد يتعبها فهي لا تريد الفرائس الصعبة تريد فرائس تقول ها أنا ذا كلوني.

هز الملك الأسد رأسه المتوج بالشعر الغزير، وطلب الحكيمة البومة، التي لم تستطع أن تجاريهم خوفاً ورهبة، وأقسمت فيما بعد أن لا ترى وجوههم نهاراً جهاراً، فما كان من الأسد إلا وطلب انفضاض المجلس ليحتكم لمجلس البرلمان الأسدي قامت الحيوانات المجتمعة وقبلت يديه ورجليه ودعت له بطول العمر ليبقى حارساً للحق والعدل في تلك البقعة من العالم.

اجتمع البرلمان الأسدي، وتمت مناقشة الوضع من كافة جوانبه، وقد رأى البرلمان بعد المناقشة والمداولة أن سبب المشكلة الرئيسة تكمن بعدم وجود لغة واحدة للحيوانات تفهمها الحيوانات المفترسة، وخاصة تلك الحيوانات كالنعام والحمام والأرانب، التي تعد فرائس للحيوانات الأخرى التي من أهم حقوقها أن تجد قوتها باستمرار، وأثنى البرلمان على النعاج ومن في فصيلتها على حسن سيرتها وسلوكها.

المشكلة التي ظهرت للبرلمان الأسدي هي كيف بالإمكان توحيد لغة الحيوانات، وأعدت خطة تدرجية على مراحل متعددة تبدأ باستخدام أحدث التجهيزات، وعبر ضخ اللغة المرادة في كل القنوات، المرئية والمسموعة والمكتوبة، ومعها تحذير رسمي بعدم استعمال لغة الأسود مطلقاً فالزئير للأسد وحده ولا يتعلم هذه اللغة أحد ويمنع تداولها على كل الحيوانات أياً كانت، بما في ذلك النمور والذئاب والثعالب التي لا مانع من استعمالها لغتها الخاصة في كل مكان، ما عداها فهو ممنوع منها تماماً.

وجدت مشكلة ثانية، وهي بعد أن تتخلى جميع

الحيوانات عن لغتها الأصلية، فأي اللغات يسمح لها النطق بها، وبدا الأمر محيراً حقاً في البداية، ولكن بعد دراسات مستفيضة لكافة النواحي منها: أن اختيار لغة الطيور ستكون صعبة جداً فللطيور نغمات كثيرة متعددة، كما أن أغلبها جميل فالكناري والبلابل والعصافير صوتها جميل جداً، ونغماتها محببة مما قد يضفي على الحيوانات عند استعمالها نوعاً من البهجة والفرح والسرور، الذي يرفض البرلمان الأسدي أن يستمتع به غيره، واعتماد نبح الكلاب، به شيء من قوة كما أنه يرهب السادة الذئاب والثعالب. وهذا أمر يبدو في غاية الخطورة، قيل الصهيل فالخيول لطيفة، وقد تكون متعاونة في أمور كثيرة، كما أنها حيادية بين الحيوانات التي تقتات الأعشاب وبين المفترسة، لكن الأسد لم يرضه الأمر، خاف من تحسس السادة النمور خاصة وقد عرف أن للخيل جمالاً يفوق جمال النمور، كما أنها قد تتغلب أحياناً علي النمور عندما تضرب بأرجلها الأمامية، وأما النهيق فهو يثير الأسد شخصياً، ولولا الحاجة الماسة للتوازن البيئي، لتم إعدام كل الحمير، وأما فحيح الأفاعي فهو يشعر الأسود والنمور بالغثيان.

بعد مداولات عديدة ومشاورات اعتمدت لغة النعاج، لغة على جميع الحيوانات التكلم بها ، ومن لا يتكلم بها فهو لا شك يحيك مؤامرات لعالم الأسود ، وعلى الأسود أن تستنفر كل قواها لمحاربته، وبناءً على ذلك يتم عرض هذا القرار على مجلس الثعالب والنمور والدببة والذئاب لإقراره، فكان ما كان من أمر إقراره، وبدأت تباشير تطبيقه، تعبت الحيوانات في كل مكان وهي تثغى كالنعاج، وأكثر من تعب الخيول فقد بدأ صهيلها في البداية خليطاً من ثغاء وصهيل، ولكن مع مرور الوقت تعودت ذلك، كذا تعودته الحمير وسائر الحيوانات، وصار كلام الجميع (مأأأ.. مأأأ.. مأأأ..) وارتاحت الأسود والنمور والدببة وسائر الحيوانات المفترسة، لكن نما لعلمها أن الحمام يهدل في عشه بطريقة سرية وقد يكون يحيك خيوط مؤامرات دنيئة، والخيل عندما يركض في البراري الفسيحة ينسى نفسه وينسى الثغاء فيصهل، كذا العنادل عندما تأمن عيون البصاصين، وآذان المنصتين فهي تغرد، وتكثر التغريد حتى يخال السامع أن المجلس الأسدي لم يصدر أمراً باعتماد لغة

(الثغي) لذا أمرت الأسود بوضع أدوات تصنت في كل مكان، وتحت كل شجرة وفوق كل نخلة، وداخل كل جحر، بما في ذلك بيوت الثعابين والخنافس.

لكن واجهتها مشكلة مع هذه الصامتة التي لا تدري ماذا تفكر ولا أي المؤامرات تحيكها (النعامة) فما كان منها إلا أن أعدت لها مدرساً من الثعالب يعلمها لغة الإشارة، وبعد ثلاثة أيام من الدرس الذي تقدمه الثعالب للنعام، لم يوجد للنعام أثر، لكن بانت مظاهر التخمة على الثعالب، وتم عرض الأمر على مجلس النمور والدببة والذئاب، الذي أقر بالإجماع فعلة الثعالب.

هنا تثاءب بيدبا الحكيم وطأطأ رأسه، كنت أستحثه أن يكمل لي الحكاية أن يقول لي مثلاً إن الحيوانات ثارت وطالبت بلغتها القومية، وبهويتها الثقافية، وأن معارك عظمى قامت بين جميع الحيوانات من جهة وبين فريق الأسود والنمور والدببة، كي تعود العصافير تغني والخيل تصهل، وأنها لم تفقد لغتها لأبد الآبدين، لكنه لم يتكلم عندما هززته مرات عديدة فتح فمه وهو يدير عينيه بنظرات

مسلوبة الإرادة فقال (مأأأ.. مأأأ) صرخت وكدت أجرجر شعري كما أفعل عندما أكون في قمة يأسي فخرج صوتي: (مأأأ.. مأأأ.. مأأأ).

* * *

عبده خال

روائي (من مواليد 1962 السعودية). أصدر عدة مجموعات قصصية، منها: حوار على بوابة الأرض، لا أحد، ليس هناك ما يبهج.

عصفورا الزينة

أحتقر من يرفع صوته على زوجته ويزداد هذا الاحتقار كلما كان الصوت متوغلاً في خاصرة المرأة - هذا الفعل أعده جريمة نكراء.

فحينما يحقر الزوج زوجته في محفل عام، أو في السوق، أو في الشارع يغدو هذا التحقير إهانة لا تغتفر وسماعي لمثل هذا التعنيف يشعرني بالخجل وكأنني أنا الذي قمت بذلك الفعل المشين. كما أن

سماعي لمثل هذه الأصوات المحقرة لزوجاتها يجعلني أبحث لجسدي عن أرض تخسف به.

الرجال هنا أشبه بحلاقين تجري شفار ألسنتهن على جلود النساء من غير اكتراث، ولو جرى الدم لا يكلف الواحد منهم إزالته بكلمة اعتذار رقيقة.

المرأة أشبه بمنشفة بالية يدسونها في المطابخ، أو في غرف مغلقة حيث يدلقون عليها الدنس بسرية تامة.

حينما نكون - أنا وزوجتي - في الأسواق أتحرج كثيراً من ممارسة عادتنا التي دأبنا عليها منذ زواجنا، هنا يغدو المنظر مثيراً للسخرية أو الريبة، والحالتان لا ينبسط لهما خاطري.

في كل مرة نحزم حقائبنا مغادرين هذه الأجواء، تتمايل أمامي كأول مرة رأيتها، وتغمزني:

- سوف نمارس عادتنا عند هبوط الطائرة.. أليس كذلك.

أمنحها وجهاً مشرقاً، وأثني ذراعي على خاصرتي فتسارع بإغماد يدها في تلك الفرجة محوطة

ذراعي بفرح طفولي، ونسير مزهوين، كعاشقين أضناهما البعد، نتجول في غرف المنزل، وطرقه المتعرجة المنتهي كل منها بغرفة ضيقة، ننسى تلك الغرف الضيقة الرطبة، ونصنع مشاهداً في مكان ما من العالم، نسير على الشواطئ، نتبضع، تطير أحلاماً ورقية، وهي متعلقة بذراعي، تتراقص أفراحها الصغيرة، فتملأ فضاء البيت حبوراً، وتسقط من عليائها خفاقة:

- غداً سأفعل هذا.

تصمت للحظات، وتواصل تشوقها لموعد حزم حقائبنا:

- أليس مؤلماً أن نعيش شهراً واحداً من كل عام.. شهر يمضي وكأنه دائن جاب كل الطرقات بخطى المتطفلين ونهم المتشردين.

تتطلع لشعري المبيض، وتلك اللمعة المفسحة لتصحر أخذ يستشري مخلفاً أخدوداً صغيراً جرى بين شعري الكث بحثاً عن مصب لا يبين، وتكتم سخرية مرة:

- حينما جئنا إلى هنا، كان شعرك فاحماً، وغزيراً... السنين لا تأكل سحنتنا فقط إنها تتغذى أيضاً علي انتظارنا، إننا ننتظر كل شيء، ننتظر العودة لبلادنا، وننتظر هذا الشهر من كل عام، وننتظر أن أتأبط ذراعيك في الأماكن العامة، وننتظر ذلك المولود الذي رفض أن يشاركنا هذه الغربة.. كل شيء انتظار.

صمت بعض الوقت وسقط صوتها مهشماً:

- أليس محزناً أن يكون تحويط ذراعك حلماً عظيماً ننتظره أن يتحقق مرة من كل عام. عشرون عاماً مضت ونحن مدفونان في هذه الشقة، أخرج من هذا القبر يومياً باتجاه العمل، وأعود مع المساء فأجدها قد تزينت وراقصت الكراسي، وعطرت بمشاها السجاجيد، وعلقت على تلك الجدران ألف أمنية، وألف تذمر، وألف دمعة.

مع دوران المفتاح في عين الباب تكون قد وصلت خطواتها إلى تلك الفرجة التي تسمح لقامتي بالدخول، فتخطفني، وتتعلق بي، تلثم جبيني بلهفة:

- هه.. كيف هي الدنيا في الخارج.؟!

حاولت كثيراً إبعادها، وزجرتها عن القيام بهذا الفعل كلما قدمت.

في أول مرة قمت بهذا الزجر ترقرقت عينيها:

- هل تكره أن أبدي مشاعري تجاهك.؟

- لا لا يا عزيزتي، كل ما في الأمر أنني أعود متسخاً وتفوح من جسدي روائح لا أحب أن تلتصق بأنفك.

ضحكت حتى ظننتها ستمارس مزاحها - الدائم - بقذفي بإحدي الوسائد:

- أوه كل شيء فيك هو وجودي أنا.. أحب كل ما فيك.

بعد هذا القول خجلت من عجرفتي، وأمسيت بالقرب منها مع عودتي من العمل غير متحرج من انبعاث تلك الروائح التي تنداح من جسدي بفعل الرطوبة الممزوجة بالغبار وأبخرة السيارات.

* * *

تبادلت أنا وزوجتي النظرات المستوحشة فقد تواطئنا منذ زمن بعيد على تبادل ضوء العيون حين يصل بنا الضيق مداه، وتتجاوز عني في أحيان كثيرة حينما يتطرف الدم في أوردتي فتلتزم الصمت حيال تلك الثورة المفاجئة وينتهي الأمر بخروجي من البيت كارهاً الساعات التي جمعتني بها تحت سقف واحد.

عقب كل نظرة حامية يصطلي لها وجهها، تشبع مخدعها بالدموع لأيام من غير أن تعاتبني، تقوم بكل واجباتها واجمة، ندية الأهداب، ولا تستجيب لاعتذاراتي، وفي كل مرة أخترع وسيلة لترقيق جفوة ما تركته في داخلها، أترك على مخدعها وردة، وقصيدة، أو هدية بسيطة، فتأتي كحمامة تهدل وتترك جسدها بين ذراعي يهتز كشجرة خريفية عليها أن تسقط كثيراً من أوراقها لتعود محتفية بما تبقى من اخضرارها، وفي كل مرة تحذرني بكلمات لينة:

- إياك أن تخدش جوهرة الحب التي أحملها لك.

وعندما تجد أن جملتها لم تف بغرضها تحدق في خصلات شعري:

- يكفي ما نشعر به من غربة بين هذه الجدران.. لنكن كعصفوري الزينة علينا أن نعيش داخل القفص لا خارجه، وحياتنا داخل القفص تعني أنا وأنت، وأنا وأنت فقط نغرد أو نموت.!!

في هذا الجو الاجتماعي الخانق لم يكن لنا من سلوى سوى السير على رصيف الكورنيش في أيام الجمع وإذا وجدت ميزانيتي متمتعة بصحة جيدة لجأنا إلى إحدى تلك المنتزهات المترامية على الرصيف الآخر المقابل لمياه البحر ذات اللون المغبر الداكن.

يومنا روتيني وخانق، أذهب إلى العمل وفي مكتبي أقرض عشر ساعات من رصيد عمري بالعمل المتواصل وحين ألمح عقارب الساعة تحلق على ميناء السابعة مساء أجمع أوراقي وأدفنها بدرج المكتب وأخرج عجلاً.. أكون في مواجهة الليل تماماً:

- ماذا يمكنني الآن أن أصنع؟

يداهمني هذا السؤال يومياً وأفترض افتراضات وهمية أسلي بها خاطري وقبل أن تنتهي يكون المفتاح يدور في ثقب الباب وما أن ينفرج حتى أترك ما

حملته من سلع تموينية على أقرب طاولة تجاورني لاهثاً من صعود السلالم المتعرجة ذات الامتدادات الطويلة صعبة المرتقى.. أشعر بالضيق حين ألمحها قابعة في زوايا إحدى الغرف تنظر في الفراغ بعمق.. أشعر بثقلها ويستحيل صمتها حملاً تلقيه على كاهلي:

- كالعادة ليس هناك شيء تذيب به هذا الملل الرابض ككلب الحراسة.

تنهض بخفة صوب المطبخ وتعود حاملة كأس ماء أتجرعه منذ عشرين عاماً سواء كنت في حاجة إليه أو لا.. وتتجه مباشرة صوب تلك الأكياس التي تركتها على الطاولة تفتشها لتتأكد أنني لم أنس شيئاً من تلك الطلبات التي دستها في جيبي قبل ذهابي للعمل، لم تلمني على انقطاع عادة (.....) كلما عدت من عملي ولم أشأ أن أثبت تلك العادة التي انقطعت منذ سنتين أو تزيد.. صمتها يقلقني ويقتلني في آن، فيعترك في داخلي تبرم نشط يخرج من جوفي كأبخرة البراكين:

- هناك حياة أجمل.!

أهرب من قلق اللحظة بالذهاب إلى الحمام مباشرة أو الانشغال بترديد أسئلة آلية لا أنتظر أن تصرف لها جواباً وأنزلق مع خواطري متمنياً حياة أخرى.

ليل جاثم ورائحة عطرها الثقيل يحاول النجاة من غرق حتمي في رطوبة عالية الكثافة، ويظل يجوس في المكان ولا يجد له من مهرب سوى التغلغل في نفقي خشمي وكلما حوطتني... اقتربت من الاختناق، فأزيح ذراعيها وألوذ بالنافذة المغلقة، طعن متواصل ينغرس في خاطري.

- ما ذنبها.. ما ذنبها.

من زوايا عيناي ألمحها في مكانها وقد تهدمت ملامحها، أي جبروت نمتلك حينما نقترف الآثام.

- أرجو المعذرة لا أقصد.. فقط أشعر باختناق.

- ....

- أقصد أن رائحة هذا العطر تخنقني.

وقفت أمام مرآة الدولاب منكسرة وتناولت

منشفة وانسحبت لداخل الحمام، كنت أسمع جريان الماء وشيء أشبه بالنشيج.

- ماذا يمكنني أن أصنع الآن؟

أربع غرف صامتة جامدة لا حياة فيها، لو أن هناك جيران يحركون ركودنا قليلاً، هذه المدينة لا تحفل بتبادل الزيارات، بالأمس وجدت صبياً صغيراً يحاول صعود الدرج حملته على ساعدي، قبلت وجنتيه تأججت مشاعري فضممته على صدري ألصقته داخل عظامي، كنت أحس بيديه صغيرتين تنغرسان في صدري وتدفعني عنه قبلته بشغف وكلما دفعني عنه أحسست أنه يدميني، صوت أنثى يرتفع من داخل الدار:

- الحق ابنك.

وقف جاري على حالتي وجذب ابنه من بين يدي [illegible]

انسحبت لداخل الدار وشتيمته كنصل مدبب ثاقب يتغلغل في داخلي..

كانت كعادتها، على كرسي مقابل لجهاز التلفاز، وعيناها مغروسة في الجدار المقابل، لو أن طفلاً استجاب لرغبتينا وجاء لأنهي هذه المأساة اليومية، هذا الطفل بحثنا عنه بكل النقود التي ادخرتها في هذه الغربة، أنفقتها قرشاً قرشاً ووزعتها على خزائن المستشفيات الخاصة، وفرطنا في أيام طوال ونحن نجري هنا وهناك، وفي كل مرة يرفض ذلك الطفل المجيء.

لازالت عيناها مغروستين في الجدار، جلست بجوارها ففزت لتحضر كأس الماء، تخلّت عن عطرها وزينتها، وقفت تحمل كأس الماء بينما كنت قد أرسلت رأسي في الأرض وتركت لدموعي معرفة طريقها:

- ما الخبر.؟

-...........

- هل ضايقوك في العمل كالعادة.؟

-...........

- بالله عليك كف عن البكاء، فأنا لا أقدر على رؤيتك هكذا.

(...)، وهي تشاركني النشيج المر:

- بالله ما جدوى هذه الغربة.

* * *

اليوم الخميس.

في هذه الليلة نخرج من سجننا لبعض الوقت، كنا مجموعة من الأصدقاء تم التعارف بيننا، تواصل فيه نساؤنا، وغدت عادة الكل ينتظرها مساء كل خميس.

وتعودت أن أنجز عملي في هذا اليوم مبكراً، فقبل أن تصل الساعة السادسة أكون خارج مقر عملي، راسماً ليلة رائعة تخرجنا من هذا السأم، وتجدد نبض الحياة في أوردتنا.

حينما وصلت إلى البيت، وجدتها قد رسمت زينتها بعناية فائقة، ووضعت ذلك العطر الثقيل، فلم أبد انزعاجاً، فأطلقت عصافير وجهها:

- وصلت سارة قبل قليل وسوف تذهب معنا.

سارعت لدخول الحمام ودلق المياه لإزالة تلك الرواسب الملتصقة بالجلد مباشرة، وتحت انسكاب المياه، غزت سارة مخيلتي عنوة.. امرأة ثلاثينية منحتها الحياة عوداً رياناً وضحكة لا تنضب، معها تشعر أن النساء حلوى تذوب.. معها تشعر أن النساء ورود تشم، وإنهن نفق يخرجك من الطرق المظلمة.

على عجل أنهيت قيافتي، ونزلت للشارع منتظراً هبوطهما، أدرت محرك السيارة، ورششت على جسدي عطراً باريسياً هادئاً ففاحت رائحة في مقصورة السيارة بتقاعس، اطمأننت لتهذيب شاربي وشعري، وتحفزت لاصطياد عين سارة حين تقتعد المقعد الخلفي بتنكيس المرآة قليلاً.

بادرت بفتح بابها على عجل وجلست مباشرة، فيما امتدت يد سارة للباب الخلفي، وجذبته برقة، ودست جسدها في الزاوية البعيدة عن عيني، بعد أن أطلقت تحية المساء كأغنية طرية خرجت للتو من حنجرة مغنية آسرة.

- (...............)

تبرمت من عطرها ، ففي مصارعة غير متكافئة انهزم أريج عطري أمام تلك الرائحة الثقيلة وكف عن انسيابه، وانحشر بين ثيابي وجلدي، ونهض عطرها الثقيل متخبطاً بأذرعته الطوال، وأخذ يتمدد كهر هرم مد أطرافه في كل الاتجاهات، وأطبق على صدري وأغلق منافذ رئتي، كانت تريد أن تظهر افتتاني بها أمام صديقتها:

- ما رأيك في الفستان الذي اخترته.

-...........

لم أقو على الإجابة، كان علي إنقاذ الموقف بكلمة نفاق صغيرة تنهي انتظارها الذي طال..

- ألم تسمع يا حبيبي.

- هه.. عن ماذا تتحدثين.؟

أحياناً نقدم على قتل بعضنا بالكلمات، شعرت بها تغوص في خواطرها وتخرج أطياف الماضي، تلاعبها وتدسها مرة أخرى في ذاكرتها..

عطرها يجوس في المكان بخطوات ثقال، ويسد على الجهات الأربع:

- ألم أقل لك أن هذا العطر يخنقني استبدليه بعطر أخف. ؟!!

لم أتنبه إلا وتلك الجملة قد خرجت كمارد يعصف بالمكان ويجلد زوابع الريح لتخرج كل الأتربة المخفية في الكون.. حاولت سارة أن توقف انقشاع العواصف بترطيب الجو الملبد:

- إنه عطر رائع، فأنا تعجبني رائحته كثيراً..

بنصف عين، رأيت دموعها تعيث فساداً في تلك الأصباغ، وحشرجة تكبح جماح كلمات كثيرة منعتها من الانسياب..

يدها امتدت للباب، وأغلقته بعنف، ودست جسدها داخل بوابة العمارة بترنح مريع، كغزال أصابه سهم ثاقب فرمى بجراحه بين الأحراش كي لا تلمحه عين قاتله.

ذهول مفاجئ وتلك التي لا تمل من الضحك غدت تياراً كهربائياً صعقني من الخلف:

- لم أتصور أنك بشع بهذه الصورة.

وارتطم بابها، وخرجت تتمايل في اتجاه آخر.. كان محرك السيارة يدور، وأنا أبحث عن كلمات تمكنني من صعود درجات السلم الطوال.

كم أتمنى الآن أن أجدها تقف على الباب، وتجذبني (...)، وتناولني كأس الماء الذي أتجرعه منذ عشرين عاماً سواء كنت في حاجة إليه أم لا.

18 أغسطس 2001

* * *

عـبـدالـلّـه
الـنـــاصــر

(الـسـعـوديـة). صـدر لـه مجموعة أشباح السراب (1998).

الانكسار

خرج في الشارع المتلوي الطويل الذي يتسع أحياناً ويتعرج بلا نظام كحية ميتة. سار حتى اختفت أضواء المدينة والليل معتم والدنيا هامدة إلا من نباح كلاب يأتي من بعيد ولا شيء يتحرك في هذا الشارع المتلوي، لا شيء سوى الهدوء والهمود وأضواء النجوم المعلقة كالقناديل والتي تظهر أحياناً قوية وهاجة وأحياناً تختفي وراء أعالي البيوت إلا إذا رفع رأسه فإنه يراها فوقه وكأنه تسير معه.. سار في

الشارع الطويل وبصدره تحتشد مواجع وهموم تتدافع ساخنة كأمواج البحر العاتية حينما تصطخب ثم ترتطم بالصخور لتعود مرة أخرى أقوى ارتطاماً وعنفاً.. مشى وهو لا يدري إلى أين يتجه ولا يدري، ماذا يفعل ولا يدري ماذا يقول، بل لم يعد قادراً على أن يعي ما يدور في رأسه. سار وكأن السير هو اللغة الوحيدة التي يستطيع أن يتحدث بها.. فكل شيء حوله صامت.. كل شيء في داخله صامت، ولكنه ذلك الصمت القاهر، المتأزم الصاخب القاتل.. سار وكأنه يخاف أن ينفجر مما به.. وكأن خطواته في الطريق هي: الرئة التي يستطيع أن يتنفس بها من هذا الضيق والألم.. لسانه كان جامداً ثم فجأة راح يردد بيتين ولا يدري أهو يعيهما وهل هما جاءا من عقله الحاضر أم الباطن أم في إرادة اللسان وتلقائيته؟ وجد نفسه من حيث لا يدري خارج البلد فقد قذفه الطريق الصامت إلى هذا الفضاء الرحب حيث لا شيء إلا الصمت.. الصمت المكثف القاطن في تراب الأرض في قنوط وجفاء.. وجد نفسه داخل كرة هائلة من الصمت.. والأرض كتلة من الخشوع الذي يشبه

الموت.. والسماء قبة نسجت من النجوم.. الحياة فوق رأسه في السماء تنبض بالتهاويل والإشعاع.. أما الأرض فميتة إلا من نبض قلبه ووقع أقدامه. كان قد فكر طويلاً إلى من يذهب؟ استعرض أصحابه واحداً واحداً سجلهم في ذاكرته واستعرضهم في ذهنه بتمهل ودقة انتقاء.. منذ ثلاث ليال لم ينم كان يفكر في أمره الذي أهمه وفي حاجته التي داهمته دونما توقع.. والأمر حزبه وشد عليه.. ولا سبيل إلا الأصدقاء.. وراح بين فكي حاجته، وامتحان أصحابه.. هو لا يريد أن يريق دم وجهه.. لا يريد أن يفشل فشلاً يكسر ظهره، هو يعرف أصدقاءه تماماً أو هو يظن ظن المتيقن أنه يعرفهم ولهذا رتبهم واستعرضهم من ناحية الأولية في ذهنه تماماً كما يستعرض الفارس سيوفه قبل يوم المعركة. واستقر أمره على «أبي سعد» فهو مرشحه الأول.. عرضه في نفسه مراراً.. حاول أن يتركه إلى غيره إلا أنه كلما رجع إليه شعر براحة وطمأنينة فعقد العزم على الذهاب إليه، ونام ليلته قرير العين بعد أن اتخذ قراره.. ساوره شعور بأنه نجح في معركته.. نجح في تغلبه على قلقه تماماً كما يفعل التلميذ عندما

يقدم ورقته في الامتحان بعد أن جمع وطرح النتيجة في عقله وارتاح لإجابته. 777 اتصل به هاتفياً وقال له سأزوك الليلة.. رحب أبو سعد ترحيباً حاراً.. وبعد صلاة العشاء جلس الرجلان.. تحدث أبو سعد يميناً وشمالاً، وغرَّب، وشرَّق.. تذكرا كل شيء وطرقا أمور الحياة من جميع جوانبها.. وكان يندمج في الحوار مع صديقه.. وأحياناً يأخذه الصمت.. صمت من يريد أن يتجهز للحديث للخطر.. ولكنه يكبح صمته ويستسلم للحديث مع صديقه وكأنه بذلك يفرغ شحنات خوفه ووحله من صدره ليصبح قادراً على طرح مشكلته في اطمئنان. وطال الحديث وامتد الليل وهو يريد أن يهجم بالحديث فيعجز.. لم يدخل هذه التجربة طيلة حياته.. لم يطلب وجاهة. ولا قرضاً، ولا وساطة من أحد.. كان عزيز النفس.. أراد أن يقتلع الحديث من أعماق أعماقه وكأنه مربوط بسلاسل وأغلال في قاع وجدانه. تتابعت أنفاسه وزادت دقات قلبه وأخذ به القلق والوجل كل مأخذ.. راحت دقات قلبه تقرع أذنه وتنزّ في صدره وأخيراً كتم أنفاسه وتغلب على قلقه واندفع وكأنه يقفز إلى قلب معركة قائلاً: أخي أبا

سعد.. يقول المثل الصديق عند الضيق.. وأنا محتاج ومكروب و... راح يحكي له قصته ووجهه مرخي إلى الأرض يذوي ويتلاشى يصفر ويعرق ويذبل حتى كاد ينطفئ.. وحين كف عن الكلام.. نظر إلي وجهه أبي سعد.. فإذا بابتسامة مشرقة يكللها هدوء يشي بالطمأنينة والثقة.. نهض أبو سعد.. دونما كلمة.. أما هو فقد أخذته نشوة الانتصار والظفر فلم يخب ظنه في صديقه أولاً وهذا هو المهم.. وكربته قد فرجت ثانياً.. وراح يستعرض في ذهنه هموم الأيام الثلاثة التي كانت تحترق في صدره.. وها هي كنار أطفئت بماء بارد فهمدت وخمدت ولم يبق إلا ظلها في داخله. التذ خاطره بنخوة صديقه، ونجدته السريعة، وإن كانت تلك الغبطة المشوبة بذل وبخجل المسألة. ولكنه راح يغالبها بأن أبا سعد ليس صديقاً فحسب، بل فوق الأخ والصديق. ارتاحت خواطره وراح يتنفس في ارتياح ملء رئتيه كمن يطل على بحر شاسع مفعم بالشمس والريح. وظل في مكانه وقد ثمل بنشوته،

ظل ينصت في فرح غامر. ومرت لحظات تبعتها لحظات وهو يصغي.. ويركز في الإصغاء.. أخذ ينظر في عقارب الساعة.. عقرب الساعة النحيف الطويل يقفز في كل ثانية قفزة وقلبه يقفز معه قفزة أو قفزتين.. وصحا سمعه على قرع جرس الساعة الضخمة التي تتوج صدر المكان فانقبض صدره قليلاً.. العقرب يركض بعنف ويلسعه كإبرة العقرب.. وبندول الساعة يتدلى ويتأرجح فوق رأسه كرأس حية.. ساورته الظنون، ولكنه كبحها من رأسه، بل وكبتها وكأنه اقترف معصية.. وراح يلوم نفسه على أنه أحرج صديقه في هذه اللحظة المتأخرة من الليل وهو الآن يتدبر الأمر في مشقة - مع أنه كان واثقاً أن الأمر لا يحتاج إلى ذلك - ولكنه أكده في داخله تأكيداً لا يقبل الشك أو الارتياب. وطال الانتظار. وساوره خوف على صاحبه.. وراح يلوم نفسه ويعنفها على سوء اختيار الوقت.. أخذ ينتظر في وجل وألم يقلب طرفه فلا يرى إلا عقارب الساعة وبندولها المرعب.. كح.. ثم سعل.. دقت الساعة.. اختلطت دقاتها بكحيحه وسعاله.. غير جلسته.. نهض ثم

قعد.. نهض ثم مشى خطوتين.. ثم عاد.. سار بضع خطوات ثم وقف.. وقف في وسط غرفة الاستقبال لا يدري ماذا يفعل.. وطال به المقام وعقارب الساعة تنشر قلبه ودقاتها تقع فوق رأسه ودماغه كضرب المقارع.. سار ووقف بباب الغرفة.. ثم تنحنح وكح.. ولكن لا أحد.. تشجع ونادى نداء خفياً خافتاً ولكن لا أحد.. رفع صوته قليلاً ولكن لا أحد رفع صوته أكثر وهو ينادي «أبو سعد.. أبو سعد». وجاءه نداء امرأة خشن كصوت ضبعة جريح: «أبو سعد نائم.. أبو سعد نائم». دارت الدنيا في عينه.. انقلب عاليها سافلها.. رأى الأشياء حوله تضطرب وتتحرك وتموج. وتسارعت دقات قلبه، وطفح جسمه بعرق بارد، كاد يدخل حالة إغماء.. وجد باب البيت الخارجي مفتوحاً فخرج.. سار في الطريق المتلوي كالأفعى الميتة.. خرج إلى الفضاء الميت إلا من أضواء النجوم التي كأنها جمر يتوقد في قلبه.. ولا شيء في فكره أو عقله سوى الذهول وغصة في حلقه كمسمار من نار.. شعر بحزن له مخالب جارحة تغلغل في روحه.. حزن يتسرب إلى قلبه كما يتسرب السم المميت، حزن مفعم

بـهـزيمة وخذلان ونـدم.. هم بأن يـصرخ صـرخة تـفـجر الصمت.. صرخة يتشظى فـيها الألم المرتعد في صدره ويصطدم بـالنجوم.. ثم أحس بوهن ورغـبة عـارمة فـي أن يجهـش بالبكاء.. هم بأن يستسلم لكنه ظل يقاوم راح يردد فـي حشـرجة تـشـبه الـبـكـاء: إذا قـلـت هذا صاحب قد رضيته وقرّت به العينان بدلت آخر كذلك حظي لا أصاحب صاحباً من الناس إلا خانني وتغيرا.

* * *

هــــــدى
الـنـعـيـمـي

قطر.أصدرت مجموعتين قصصيتين: *المكحلة* 1997، *أنثى* 1998.

السيدة الجليلة

يتصاعد التصفيق عند دخولك القاعة المكتظة بالكراسي والبشر، ببطء تحرك قدماك وسط الأكف المصفقة، ابتسامة هي ربع ابتسامة هذه التي تعلو وجهك الشفاف، لم تنزلي ذراعك الأيمن سريعاً وأنت تلوحين للجمع البشري، كالمسمار تقفين أمام الصف الأول تنظرين إلى هؤلاء الذين تجمعوا كي يصفقوا. يصفقون طويلاً حتى تحني رأسك وتضمي كلتا يديك إلى صدرك، جذع جسدك المتلفع بالسواد، تقفين

كـالمسـمار، إضـاءات كثـيرة بـرقت وأنـت علـى ذاك الوضع، لا تـهدأ كـاميـرات التـصوير والأكف المصـفقة حتـى تـقرري أنـت، تـرفـعـين رأسك وتـنـزلـين يـدك وتتقدمين يرافقك السيد الوزير والسيدة حرمه إلى مكانك المعهود في صدر القاعة. مازالت إضاءات التصوير تلمع بين حين وآخر من صوب مرة ومن صوب آخر مرة أخرى، حتى عندما بدأ الوزير كلمته ورفع يده يلوح، وعندما علا صوته مع ذكر اسم الزعيم الراحل وأشار إلى صورته التي تغطي مساحتها خلفية المسرح الكبير، عندها برق في عينيك مباشرة ضوء لا ينقطع استمر دقائق، مشاهدو الشاشة الصغيرة لهم الحق أيضاً في تحليل ابتسامتك الربعية الضائعة بين شفتيك والوجنة.

صفقت في كبرياء عندما أنهى الوزير كلمته وعندما صعد إلى المنصة آخر، قيل إنه صديق الزعيم ورفيق دربه.. لكنك لم تريه إلا بعد أن رحل الراحل وخرجت إلى عالمك أسماء كثيرة تنحني أمامك بإجلال ومازالت تنحني أمامك. عشرون عاماً لم ينته الانحناء ولم يتوقف التصفيق ولم تهدأ عدسات

الكاميرات ولم تسكن الميكروفونات الصغيرة.. في كل عام، في مثل هذا اليوم يتذكرون.. ينحنون، يصفقون. تلمع الأضواء وتتحدث الميكروفونات. تتوشحين سوادك الدائم وتقفين كالمسمار أمامهم ليمارسوا طقوسهم السنوية. الآخر على المنصة أسقط على الخلفية شاشة بيضاء ضخمة وأشعل فيلماً سينمائياً. إحدى خطب الزعيم الجماهيرية من أجل الحرية والعدل. كان اليوم الرابع لزواجك منه. قال «عليك بانتظاري في البيت حتى أعود، قد أعود ليلاً وقد أتغيب أسبوعاً في الخارج». غاب شهراً وعاد يحمل عشرة أعوام فوق أعوامه الخمسين، حملتها معه برضى، بسعادة كتلك التي تفجرت بداخلك يوم امتدت يداه القويتان إلى جهاز التسجيل الصغير فأغلقه ثم نظر إلى عينيك مباشرة «هل توافقين على الزواج مني». كان تحدياً أمام رئيسك أن تقنعي الزعيم بالحديث لمجلتك المتواضعة. فما يكون موقفه إذا عرف أنك أقنعته بالزواج؟ ما يكون موقف أمك وأبيك ولمياء صاحبتك المتزوجة قريباً من ابن عمك؟ ما هو موقف تلك الجماهير عندما تتأبطين

ذراعـه وهو يـشـعـل فـيـهـا نـار الحـمـاس مـن شـرفـتـه العـاليـة؟ عـلـيـك أن تـوافـقـي لـتـعـرفـي المـوقـف الـقـادم، لـكـن صـورة فـوتـوغـرافـيـة لـم تـضـمـك وإيـاه إلا عـنـدمـا دخل صـنـدوقـاً خـشـبـيـاً مـلـفـوفـاً بـعـلـم، ودخـلـت أنـت ثـوبـاً أسـود مـازلـت تـتـحـركـين بـداخـلـه. عـامـان ونـيـف كـنـت زوجـتـه الـتـي لا يـراهـا أحـد، وعـشـرون عـامـاً أرمـلـتـه، مـلـك الجـمـاهـيـر الـتـي أحـبـتـه وحـمـلـتـه عـلـى أكـتـافـهـا وخـرجـت تحـمـل صـورتـه وتـصـرخ وتـهـتـف بـاسـمـه يـوم مـات، ثـم أطـلـقـت اسـمـه هـذا عـلـى جـمـعـيـات خـيـريـة ومـؤسـسـات عـامـة وخـاصـة وصـار لاسـمـه الـذي مـازلـت تحـمـلـيـنـه شـارع ومـيـدان فـي وسـط المـديـنـة. المـيـدان يـحـمـل تمـثـالاً فـي ضـعـف حـجـمـه الـطـبـيـعـي. فـي مـوسـم الـذكـرى الـعـاشـر، أزيـح الـسـتـار عـن تمـثـالـه، صـنـعـه مـثـال شـهـيـر مـن دولـة صـديـقـة، كـلـف بـذلـك رسـمـيـاً مـن حـكـومـتـه، عـمـل فـيـه لأكـثـر مـن عـام فـجـاء مـطـابـقـاً لـواقـعـه الـذي كـان

يدعي الحياة وتمثاله الذي يدعي الموت. يوم قال لك إنني ما خلقت لأموت، صدقت، إنه لن يتركك وحيدة وأن يعيش معك إلى آخر العمر، وعندما رحل ظننت أنه كان يكذب، ثم اكتشفت أنه لم يكذب أبداً وأنه معك، داخل ثوبك الأسود، ملتصق دوماً بجلدك، لا ينتزعه الشمع الساخن ولا يذوب مع رغوة الصابون، وأنه غير مسموح لك بإسقاط صورته من الذاكرة كما سقطت صورة أبيك وخالك واقتربت صورة أمك من السقوط اكتشفت أنك الميراث الحي الذي أعطاه لشعبه ليبقى حياً. عندما دلك الطبيب الأعزب (ياسر) على تلك الحقائق غضبت. عندما أمسك بيدك ليضعها على الحقيقة لتقرئيها على طريقة بريل، غضبت، صرخت في وجهه أن يكف، قلت أن وطنيتك فوق كل اعتبار وأن حملك لاسم الزعيم الراحل حتى الآن دليل ذلك! وأنك سعيدة وراضية بما تفعلين، وأن كونك «السيدة المبجلة» في بلدك يعادل أية تضحية في سبيله، لكنك لم تستطيعي النوم تلك الليلة ولا الليالي التي أعقبتها، واتصلت بلمياء لتأتيك بعلبة سجائر.. لمياء الوحيدة التي تعرف أنك

تدخنين وأن السيجارة الأولى.. أشعلها لك المرحوم وقهقه كثيراً مع سعالك الحاد.. جاءت لمياء ومعها علب السجائر وعلبة ملونة أخرى، هدية لك من ابنها الذي صار طالباً من السربون، في العلبة ذات الغلاف الملون تسكن قبعة من الدانتيل الأسود ووردة سوداء يتدلى منها شريطان من الساتان حتى نهاية العنق. قالت إن هذه تصلح لتحضري بها افتتاح دار الأيتام بعد غد. كان الطبيب ينظر إلى القبعة وإلى عينيك اللتين تبحثان عنه بين المصفقين، وجدته أشرت له برغبة في لقاء آخر، أسعدته الرغبة، تحدث عن الرغبة التي تسكنك ككل امرأة وعن حقك في اشتعال الرغبة، تحدث عن الضريح الذي دخلته أنت ليخرج منه الزعيم، تحدث عن وجهك الصافي الذي لم ولن تزوره التجاعيد، وعن الشعيرات البيضاء التي ستختفي سريعاً عند هجوم الحناء أو الصبغة. تحدث عن جزيرة نائية تحلو فيها الحياة وعن أناس يقدرون معنى الحياة. تحدث كثيراً، لم تغضبي منه، لم تصرخي في وجهه ولم تقلبي الطاولة، ضحكت على نكتة طريفة ثم ضحكت أكثر على نكتة أخرى أكثر

طرافة. وعندما لامست أصابعه يديك. عفواً أو عمداً. جفلت، ارتعشت، اشتبكت الرؤى وغاصت الكلمات فطلبت مغادرة المكان ولم يمانع. لم تكن اللقاءات كثيرة.. بل قليلة وغزيرة وثرية، يكفي ثانيها بأن تعودي إلى بيتك تغنين.. لأول مرة تغنين بصوت مسموع بعد أن تأكدت أن الباب مغلق، وتكفي الثالثة أن تبحث في دولاب ملابسك عما يليق بلقائه وأن تحتقري المساحة السوداء التي تغطي كامل الدولاب، وحتى الثوب الأسود الحريري الذي تسللت من بين نسيجه خيوط فضية اللحن لتسقط لمعانها على بقية الثوب، لم يكن مقنعاً بشكل كبير لا لك ولا له، الرابعة كانت كافية لأن تعديه بخلع السواد بعد الحفل التأبيني العشرين وأنك يوم زواجكما ستلبسين ثوباً أبيض كالذي حلمت به طوال عمرك وكالذي حلم به لعروسه طوال عمره. بعد تلك الرابعة، عدت إلى البيت ترقصين، أغلقت الباب والشباك ورقصت، فتشت في حاجات الشهر التي جاء بها السائق والتي صارت تخلو من الفوط الصحية منذ أربعة شهور، عن كريم الحماية من

التجاعيد، لطخت به وجهك، سألت لمياء عن مدربة (الأيروبك) التي تذهب إليها، طلبت منها أن تأتي بها ثلاث مرات في الأسبوع إليك. تشعرين أن وزنك زائد بعض الشيء وتحتاجين إلى فقد بعض الكيلوجرامات. وعندما تخبرك الخادمة التي رافقتك الرحلة منذ زواجك الأول بأن ابنتها قد خطبت إلى جارها، تتبرعين لها بثمن الثوب الأبيض وسوار ذهبي. تمسكين ورقة وقلماً ترسمين تخطيطاً كروكياً لفساتين ملونة، ستخيطينها وستشترينها من دور الأزياء التي تزورينها دوماً لتأخذك البائعة فوراً للثياب السوداء. ليس بعد اليوم تزورين ذلك القسم الأول.. تتذكرين ثوباً أحمر ارتدته نجلاء فتحي في أحد أفلامها منذ سبع أو ثماني سنوات، كنت معجبة بذلك الثوب، كثيراً ما أوقفت شريط الفيديو عن الدوران لتتأملي تفاصيله، تقولين لنفسك «نعم ثوب نجلاء فتحي سأخيط مثله» تكتبين الأماكن التي تشتهدين زيارتها مع ياسر، تصفقين لنفسك، هذه المرة تصفقين لنفسك. لا تحتاجين لآخرين للتصفيق، تخور قواك من الغناء والرقص والتصفيق وتسقطين

في الفراش تنامين تتمنين أن لا تستيقظي إلا بعد الحفل التأبيني العشرين.

المشهد الأخير من الفيلم السينمائي المعروض على خلفية المسرح، الجنازة الجماهيرية وأنت في يومك الأسود الأول، لا تستطيعين البكاء، لأنك مثله.. قوية، تصعدين، المنصة، تلوحين للمصفقين تتسلمين من نائب الرئيس درعاً جديداً، تضمينه إلى تلك الدروع والأوسمة والميداليات التي تجمعت داخل الخزانة الزجاجية في الصالون الكبير، ينحني لك الوزير والوزير الآخر ونائب الرئيس وتلوحين للجميع مودعة، تبتعدين عنهم، تدخلين صومعتك من جديد.. تفتحين أدراج المكتب، تخرجين الأوراق والرسوم الكروكية، تتنهدين بشدة، تنظرين في الكتالوجات التي جاءت بها لمياء إليك، تنظرين إلي الخطوط والدوائر على بعض الموديلات، على قرط لامع معلق في أذن إحدى العارضات، تسقطين الصفحات الملونة وتخرجين علبة السجائر، واحدة، اثنتان، ثلاث، يكفي هذا، لا بل ستكتفين بأربع، الهاتف لا يرن والخطوط سليمة، والوعد يقول أن تبادري بالاتصال بعد الحفل،

عاودت الإمساك بكتالوجات الأزياء والأخرى التي بين الجزيرة التي تحلو الحياة بها وجزر أخرى، ما كنت تعلمين بوجودها على الأرض، بزهور وطيور ما كنت تعلمين أن الله خلقها.. تتنهدين، تنفثين نفثة من الدخان في الفراغ والباب يقول إن أحدا ما يطرقه.. الخادمة أم العروس.

رئيس الجامعة الوطنية يريد مقابلة السيدة الجليلة، ليحدد موعداً لتسليمها الدكتوراه الفخرية في حفل بهيج.

تؤكدين لها أنك سوف تحضرين بعد قليل تعاودين التنهد، تتحرك قدماك للدولاب تقفين أمامه طويلاً تمتد يداك إلي الأمام ثم تعود إليك، تنتظرين إلى سماعة الهاتف تمتد إليها يداك ثم تعود، تسقطين علي حافة السرير، لا تشعرين بالسائل الشفاف الذي امتلأت به حدقتا عينيك، تخرجين ثوباً أسود بحزام من الساتان وياقة من الساتان المثقب، تندسين داخله.

* * *

عبدالعزيز الصيغ

(اليمن). أكاديمي. نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات

راوية

فاجأها الخبر الذي نقلته إليها أختها أحلام، وعلى الرغم من أن هذا الخبر تأخر كثيراً، سنوات سبع، إلا أنه فاجأها، وأحست بشيء من كيانها يعود إليها، لقد تمنت قبل سبع سنوات أن يتقدم محمود لخطبتها، ولكنه لم يفعل وإنما فضل عليها وداد، وهي فتاة غريبة عنه لا يعرف عنها شيئاً، وهو أمر لم تكن تتوقعه وقتها، لأن محمود كان يعرفها جيداً ويميل إليها عاطفياً، بل لقد أخذت منه ما يشبه الوعد، لقد

أرسل إليـها قـصيدة يصف لها إعـجابه بـها ، فـلماذا تركها وفضل عليها وداد.

لقد كانت طوال هذه السنوات السبع تتساءل بينها وبين نفسها: لماذا تركها، ولكنها لم تجد جواباً.

وبحكم أن محمود قريبها، فقد ظلت تراه وتكلمه، وتظهر له الأمر كما لو أنه عادي، ولا يثير أي شيء، ولكنها كانت تعرف أنه كان يدرك أنها تتألم، أو على الأقل تألمت عندما تركها وخطب وداد، المرأة التي أثبتت الأيام الأولى من زواجهما أنهما غير منسجمين، وكانت تتوقع أن يتركها في الأشهر الأولى أو العام الأول ولكنه ظل معها على خلافه الدائم.

فاجأها الخبر الذي نقلته لها أختها أحلام المتزوجة من ابن عمها شقيق محمود، وهي تعرف تماماً أن أختها أحلام تعرف تفاصيل القصة كلها، ولكنها أرادت أن ترى رأيها هي في محمود فهو الحبيب الأول، بل إنها رفضت بعده، وهو موقف لم تكن تفهمه حتى أختها، والغريب أن راوية كانت تعلن هذا لأختها ولبنات عمها اللواتي عرفن الخبر بعد ذلك أخبرتها أختها ذلك اليوم أن محمود تقدم لخطبتها.

كان الوقت عصراً وبعد أن استقرت بالأختين الجلسة التي عادة ما يجلسانها كل يوم، بدأت أختها تزف إليها الخبر، كانت أختها تعلم في قرارة نفسها أن راوية لن تقبل، علي الرغم من أن محمود يعد عريساً رائعاً بكل المقاييس فهو من الأهل، أي أنهم يعرفون عنه كل شيء، وهو موظف كبير في شركة، ويتقاضى راتباً مغرياً، وهو موعود بمناصب أعلى فهو معدود من الكفاءات، إلى جانب أنه يتمتع بسمعة اجتماعية جيدة، وحتى العيب الذي قد يبدو عيباً، لا يعد شيئاً أمام المميزات الأخرى التي يتمتع بها وهو أنه له ثلاثة أولاد من وداد، فهؤلاء الأطفال لا يشكلون عبئاً.

حين استقرت الجلسة بالأختين بدأت أحلام الحديث قائلة:

- إيش رأيك يا راوية في محمود.

- إيش الخبر، ماله محمود.

- محمود تقدم يطلب يدك.

- بعد إيه.

- إنـي عـارفـة الـقـصـة، ولـكـن تـغـيـر الـظـرف، وأنـت تعرفينه تماماً شخص ممتاز ويحبك.

- قـصـة الحب هـذه إنـي عـارفـتـهـا تمـام، أمـا تـغـيـر الظروف، فمسألة أخرى.

- يعني موافقة.

- اتركي الموضوع، يحتاج تفكير.

لم تكن أحلام تتوقع أن أختها سوف تأخذ الأمر بهذه الجدية، كانت تتوقع أنها سترفض المسألة دون تردد، وقد أعجبها هذا الموقف، كانت تتمنى أن تتجاوز أختها عقدة محمود الذي حملتها السنوات السبع الماضية، لم تكن هي تعرف أن أختها تحب محمود ذلك الحب القوي الذي ظهر عليها بعد أن تزوج محمود من وداد، كانت تراهما محمود وراوية أحياناً، وتحس بالميل الذي يبديه كل منهما للآخر، وكانت مسرورة بهذا التقارب الذي كان بينهما، كانت أختها صغيرة لا تتجاوز العشرين، حين بدأ الإحساس بينها وبين محمود، ولما كانا يعيشان في شبه أسرة فهما أسرتان متجاورتان، وكانت هي متزوجة من أخيه حامد فقد سعدت كثيراً لأختها، وتمنت أن يكون

محمود عريساً لها، أما أختها فقد كانت مندفعة له اندفاعاً، وكان محمود وقتها قد جاوز الثلاثين، ولم يكن محمود ينظر لمسألة العلاقة بينه وبين راوية بالدرجة نفسها التي كانت تنظر لها راوية، كان يميل إلى راوية، ويحمل لها في نفسه كل التقدير، ولكنه كان متردداً بينها وبين أخريات كن يدرن في باله، لم يكن يسمح لنفسه أن يعد أياً منهن بوعد ما ولم يكن يمنح نفسه من أي منهن إلا الإحساس البريء الذي لا يرى أنه يؤثر على احترامه لنفسه إذا ما حسم أمره واختار أياً منهن، وكانت راوية هي مرشحته الأولى لأنها كانت هي أقرب الفتيات إليه مسافة ووجداناً، وكان هذا الأمر الذي يقربها منه يبعدها منه، كان لا يريد أن يختارها لقربها، وإنما يريد أن يختارها لأنها مفضلة حقاً عنده، ولأنها المرأة التي تناسبه حقاً.

كان محمود يحمل هم راوية، وكان يحس بأن هذا الميل الذي يحس به تجاهها قيد يقيده، كان يخشى أن تكون راوية قدراً مفروضاً عليه، وقد زاد إحساسه ذلك حين شعر أنها تتصرف معه وكأن المسألة انحسمت، وأنها له وهو لها، كان يشعر أن ذلك يجعله يبدو مكرها على الارتباط بها، كان يحس أن

راوية لا تترك له مجالاً لأن يختارها، كانت تتعامل معه بوصفها زوجة المستقبل، في حين أن الصلة لم تكن بينهما تتعدى الابتسامات وعبارات المجاملة، وقد شجعته بجرأتها إلى أن يكتب لها قصيدة يعبر لها عن إعجابه، ولم يكن هو يعتبر أن هذه القصيدة وثيقة اعتراف رسمية، وإنما كانت وسيلة تعبير عن إعجابه، وهي كانت فعلاً محط إعجابه، وكان يفكر فيها في أحيان كثيرة حتى عندما كان يسافر أحياناً في سفرات قصيرة إلى الخارج كان يتصور نفسه وإياها متزوجين، ولم يكن إذا خلا بنفسه يتصور أحداً ممن يعرف من زميلاته في العمل زوجة غيرها، ولكنه كان يرى المسألة غير محسومة، هي فقط تمتلك الشروط التي يريدها في من يود الارتباط بها.

وذات يوم حين جاء من سفر، فاجأه زعلها، واحتجاجها على عدم الاتصال بها بعد وصوله، ولم يكن يدري ماذا يقول لها، لقد كان يتصورها في بداية الأمر عاتبة، ولكنها كانت متغيرة وغاضبة قالت له:

- هل استلمت الرسالتين التي أرسلتها لك.

لم يدر ماذا يقول، لقد استلم الرسالتين، ولكنه

لم يرد عليها ، لأنه لم يرد أن يلتزم لها كتابياً ، فهو يحس بالتزامه لها معنوياً ، ثم إن رده عليها سيكون اعترافاً منه ليس أمامها فقط ولكن أمام الآخرين، وأولهم أقاربه، لقد أوجس في نفسه أن هاتين الرسالتين محاولة منها لتقييده، ولذلك لم يرد.

أجابها دون أن يقصد شيئاً:

- أي رسائل، لم أستلم رسائل.

كانت هي قد أحست أنه يكذب، كما أحست أنه يريد أن يتنصل منها، وعلى الرغم من أنه حين رأى أنها تشتعل حنقاً منه على إجابته تلك أراد أن يتلطف معها، إلا أنها ردت غاضبة:

- لا تظن أنك الوحيد.

كان يحس بالحرج من مكالمتها، فلم تمر على وصوله من السفر إلا ساعات قليلة، لم يكن يتصور أن يكون الموقف بهذه السخونة، أحس أن العبارة أكبر مما يحتمل، أراد أن يهدئها، فرد عليها وهي منفعلة في التلفون.

- سوف أراك لأوضح لك الأمر.

ولكنها انفجرت غاضبة:

- لأعتقد أنك ستراني.

ولم يدر ماذا يقول، ولكنه كان ممتعضاً من هذا الموقف الذي لم يتوقعه، لقد أحس ذلك اليوم أن راوية تسحب كل رصيدها من الإعجاب والمحبة، والتفضيل الذي كان يراها تستحقه، لم يجب سوى بكلمة واحدة.

- طيب.

وأغلق جهاز التلفون وأحس أنه أغلق وقتها صلته بها، وتنفس الصعداء وبدأ يفكر:

- أهذه هي راوية التي كنت أمني نفسي بالارتباط بها، وكنت أحلم معها بأسعد الأيام، لا تظن أنك الوحيد، ماذا تقصد بهذه العبارة، أهناك اخرين في حياتها، وتعلن ذلك أمامي، أهي تريد أن تغيظني، وأياً كان قصدها فإن المعنى الظاهر لها لا يترك مجالاً لقبولها.

واستقر في نفسه أن من الأفضل له أن حدث هذا الذي حدث، فهو كان يشعر بالارتباط المعنوي الكبير، وكان يحس تجاهها بصلة وثقى، وكان يحس أنه لا

يستطيع أن يتجاهلها حين يريد الارتباط، فهي الأقرب مسافة ووجداناً، ولكن هذا الموقف جعله يتردد، بل جعله يتحلل من ارتباطه النفسي بها.

ورن جرس التلفون بعد دقائق قليلة، وكان صوتها، وأحس به متغيراً، وعلى الرغم من أنها كانت تعتذر عما بدر منها، ولكنه هو كان قد تغير، وقد أحس بشيء من الإكبار لها لهذا الإسراع منها في تصحيح الموقف وهو موقف ظل يكبره فيها باستمرار، قالت له:

- اعذرني، لم أكن أقصد.

وأجابها بفتور:

- حصل خير.

وبعدها كان قد قرر أن يتجه اتجاهاً آخر، وكان له القدر بالمرصاد، فارتبط بوداد التي لم تكن تملك من الود شيئاً، وأحس أنه كان أعمى حين ترك راوية، وقد غلبته طيبته فلم يرد أن يتركها من السنة الأولى وقد صار بينهما رضيع، وظل يأمل في إصلاح ما لم يستطع حتى انسحبت منه الأيام والسنوات، ووجد

نفسه يحاول المستحيل، وحين فكر أن يرتبط بأخرى بعد أن وجد نفسه طليقاً لم تكن أمامه إلا راوية.

لم ينس راوية طوال السنوات الماضية، كان يراها دائماً، وهاله أنها لم تتزوج، وقد عرف فيما بعد أنها كانت مضربة عن الزواج، وظلت تبادله الاحترام والتقدير وتظهر له مودة، وسمع من قريبته أنها لم تتزوج بعد أن تركها هو، وقد حمله ذلك الكلام عبئاً إلى أعبائه، وكان بإمكانه أن يترك وداداً بعد السنة الأولى أو الثانية، ولكنه لم يرد أن يكون متجرداً من الوفاء لأبنائه، ولذلك فعل ما فعل من أجلهم.

وحين أقدم إلى خطبة راوية لم يكن يتصور إلا شيئاً واحداً هو أن أيامه السعيدة ستبدأ، وأن مرحلة الأحلام سوف تشرق شمسها، ولكنه كان واهماً، فقد عادت راوية لكي ترد له الصفعة التي لم تبرد حرارتها من على خدها، وتفاجئه كما فاجأها بالإعراض عنه والاعتذار له، لقد تركته على الرغم من أن قرارها لم يكن في صالحها فهي تميل إليه، ولكن لم تكن تريد أن تفوت الفرصة في إظهار قدرتها على إذلاله كما فعل هو من قبل.

* * *

فاطمة منسي

(السعودية). تعد لإصدار مجموعتها القصصية الأولى.

سراب وحلم ومطر

ليلة شتائية صاخبة.. شعاع البرق ينعكس على النافذة هزيم الرعد في الخارج ينزرع رعباً في عظامي.

تمتمت ببعض الأدعية المأثورة وأنا أرتجف من البرد والفزع.

الأفكار تصطخب في رأسي كالأمواج الهادرة.. الهواجس تصرخ في صدري كالمردة.

غرفتي باردة.. باردة وموحشة.. تبدو بلا سقف.. بلا أبواب.. بلا نوافذ.

ضقت ذرعاً بالتحرز والهلع.. بالأسرار.. بالأشياء التي ينبغي ألا يعرفها أحد.

ضقت ذرعاً بنفسي.. بالحياة والناس.

فكأي يرتعشان وأسناني تصطك.. نبضات قلبي تتسارع في جنون.

آه.. ليت قلبي يسكت إلى الأبد.

(1)

كفاه نبضا..!

كفاه حمقاً ووجعاً.. كفاه.

الليل يتسلل.. أستاره قاتمة أكثر من أي وقت آخر.

الليل الحنون الذي طالما لمس آلامنا الدفينة وجروحنا الغائرة.. الليل رفيق أحلامنا الكبيرة وأوهامنا التي لا تحد وذلك السراب الكثيف الذي نغرق فيه حتى أذقاننا.

نضطر أحياناً إلى أن نكذب على أنفسنا ونخدعها ونتوهم لنعيش حياة أقل مرارة.

في حياة كل منا كذبة رائعة عزى بها نفسه طويلاً!

(2)

قـررت أن أفتـح الـنافـذة.. أعـرف أن هـذا ضـرب مـن الحمق.. ولكن لا بأس سوف أرتكب هذه الحماقة.

قمت فعالجت النافذة.. انفتحت نصف فتحة.. مددت رأسي وسرعان ما تراجعت أمام تيار الهواء البارد.. وقطرات المطر التي انغرزت في وجهي كالمسامير.

أعدت إغلاق النافذة متذمرة ثم قبعت في ركن من أركان الغرفة

تطلعت حولي.. حاولت أن أتشاغل بالقراءة أو حتى الدراسة ولكنني كنت متضجرة وتعبة.

جلست على المقعد.. حاولت أن أستريح في جلستي فجذبت نفساً عميقاً.

وضعت يدي اليمنى تحت ذقني مرهفة سمعي لصوت المطر والرعد في الخارج

شعرت وكأن النعاس يغزو أجفاني فاستسلمت ملقية برأسي على الطاولة.

جفلت من لمسة باردة.. انتفضت قليلاً ثم رفعت

رأسي.. تطلعت بنظرات نعسة كسولة.. أو.. إنها أمي.

هكذا...!

تنامين وأنت جالسة وفي هذا البرد وبدون غطاء..

مهملة.. دائماً مهملة!

ثم سحبتني بيدي ودفعتني برفق إلى فراشي ووضعت البطانية فوقي دون أن تسمح لي بكلمة واحدة.

(3)

تقلبت كثيراً في الفراش.. فراش خشن وبارد.. لكن حرارة الأفكار في صدري منحته بعض الدفء.

تقلبت يميناً وشمالاً.. تثاءبت وجربت كل أوضاع النوم الممكنة ولكن دون جدوى.

قرأت الفاتحة والإخلاص وكذلك المعوذتين.

غادرت الفراش متثاقلة ضغطت زر الكهرباء فامتلأت الغرفة بالضوء.

فتحت دولابي ثم تناولت المرآة.. نظرت إلى وجهي ملياً ثم ضحكت وكأنني أرى ملامح أخرى ليست لي.

يا إلهي..!!

أأنا متعبة إلى هذا الحد؟

أبدو وكأنني حرمت من النوم شهراً كاملاً.

عيناي حمراوان.. متورمتان تحيط بهما ظلال قاتمة من شدة الأرق وجسدي متصلب ومدقوق.

رميت المرآة ونظرات في الساعة.. إنها الواحدة بعد منتصف الليل.

وفجأة.. برقت في ذهني فكرة لقضاء هذه الليلة النكدة.

(4)

تسللت في غرفتي.. مشيت بتؤدة على أطراف أصابعي إلى غرفة الجلوس..

حاولت قدر المستطاع ألا أثير أية جلبة.

فتحت التلفزيون.. قلبت الإرسال على القناة الثانية.

يا لسعادتي!

إنه فيلم أجنبي.

الدخان الكثيف يتعالى كحلقات دائرية هنا وهناك.

ضحكات.. همسات.. قهقهات.. شفاه لزجة ووجوه حليقة.

ضجيج.. تصفيق وصفير.. الصخب هو الحياة.. بالصخب نعيش لأننا ننسى أنفسا ولو لفترة وجيزة.

(5)

تنفس الصبح عن ضوء وطهر وبراءة.. أفاقت الدنيا كلها على وشوشات الفجر ونغمة الحياة شجية عفية.

مسحت عن عينيها خدر النعاس اللذيذ لتفتح صدرها ليوم جديد صليت.. ارتديت ملابسي وتوجهت نحو المدرسة.

وفي المدرسة أنسجم كلياً.. أشعر أنني مازلت على قيد الحياة.

ضجيج الطالبات في الفناء والممرات.. صراخ المعلمات أحياناً.

الحصص وكذلك الدروس والاختبارات ومقصف المدرسة.. حتى طابور الصباح يشعرني بالبهجة الغامرة.

تخيرت ركناً منعزلاً من الصف.. أخذت أتصفح كتاب العلوم.

هرولت الطالبات نحوي وتحلقن حولي.. هاه.. هل سمعت آخر نكتة!! ثم تعالى الضحك في المكان.

لويت شفتي وأجبت مشددة على الكلمة: لا.

وفي الحقيقة أنا لا أحب النكات السخيفة.

ههه... معقدة. قالتها إحداهن وهي ترمقني ببرود وحقد.

لكزتها إحدى صديقاتي وهي تقول بسخرية: بل هي متفوقة أيتها.. الـ...!

رميت الكتاب وجلست على المقعد وأنا أكاد أن أنفجر من الغضب.

لمسن مدى شعوري بالغيظ فحاولن الاعتذار مني.. بدأت الحصة الأولى.. دخلت أستاذة العلوم ساد الهدوء المكان.

شرعت تطرح بعض الأسئلة بعد التفتيش على الواجب.

تـأمـلـتـهـا لـفـتـرة.. لـقـد كـنـت شـديـدة الإعـجـاب بشخصيتها.. كانت من أولئك النوع مـن البشر الذين يفرضون احترامهم على الآخرين.

كذلك بقدر جديتها وصرامتها في العمل كانت رقيقة للغاية وعطوفة ومتفهمة في تعاملها معنا.

* * *

علـــــي زعـــــلة

(السعودية). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

المِقصلة

ما إن فتح باب صالون الحلاقة مخترقاً حجب الروائح المكتظة بغبار الشارع القريب وأنفاس القاعدين حتى اندفع باتجاه الحلاّق مادّاً يده بالنقود.

جالت عيناه على الكراسي القليلة المعدّة للانتظار.. كان أكثرها مشغولاً بآخرين ينتظرون دورهم كي يتربّعوا هذا الكرسي الأحمر، اتجه إلى أحد المقاعد الفارغة.. حشر جسده النحيل وسط نظرات

أخذت تقرصه من عيون الجالسين، خطرت بخاطره الصغير عدّة احتمالات تفسّر تلك النظرات.. هل كان منظره غريباً عندما يجيء وحيداً بسنينه الست؟ لكنهم لا يدرون أن أباه قد اصطحبه إلي هنا مرات عديدة ومع ذلك لم يُفلح في إقناعه بارتقاء الكرسي لجزّ شعره، أم أنهم يستغربون تصرّفه.. حينما أعطى الحلاّق أجرته قبل أن يحلق؟! لكنهم - وهم الكبار - لم يدركوا خطته الذكية التي دبّرها لحصار مشاعره وحصار شعره!

حكّ أرنبة أنفه واسترخى في جلسته ليُعلن إلى نفسه سحق تلك الخيالات الي تراكضت بخاطره. أخذ يتلهّى بمفردات المحلّ، نظره يزحف عن الباب الزجاجي المطلّ على الشارع إلى جهاز أسود ضخم يتعلّق جوار الباب وتنبعث منه أصوات تعلو وتنخفض دونما تحكّم من أحد! عندما سأل أباه في مرة سابقة أجابه - دون اكتراث - أنه جهاز تسجيل، لكنه لم يفهم بالتحديد وظيفة جهاز تسجيل في محل حلاقة الشعر.. لاسيما أنه بلغة لا يفهمها.

عدّل جلسته، آلمه الخشب الذي تكشّف عنه إسفنج المقعد القديم وقعت عيناه على خزّان الشاي الملاصق لمقعده... الذباب يحوم حول فوهته، نظر إلى القاعدين معه كان اثنان منهما يرشفان الشاي بلذّة مُعلنة.. مطّ شفتيه وانزوى في مقعده.

تسلّل الوقت سريعاً - على غير عادته في لحظات الانتظار - ولم يبقَ عند الحلاق سوى رجلين اثنين، أحدهما متربع على الكرسي يلتذّ برذاذ الماء الذي تنفثه زجاجة صفراء تبدو لامعة بيد الحلاق! والآخر منتظر غير بعيد عنه يتحسّس شاربه المتراكم.

تلاحقت دقّات قلبه.. إنها المرة التي لا يدري كم هي تنسحق تحت وطأة هذا الاختبار الخانق، إنه بالتأكيد يريد التخلّص من هذا الشعر الذي تدلّى على جبينه وأذنيه.. يريد التخلّص من قهر جدّته التي تعَيره بأنه مثل البنات، بل إنها تناديه في أحيان كثيرة بأسماء مؤنثة.. يمقتها، أمه هدّدته بعنف أكثر هذه المرة لن تتردد في جزّ شعره بسكّين المطبخ، لقد كان غضبها مخيفاً في المرة الماضية عندما أعطته

نقوداً للحلاقة فعاد يداعب كرة بلاستيكية وقضيب الحلوى يذوب في فمه.

هذا الشعر سبّب له مشاكل كثيرة، نقطة ضعف في عراكه مع أولاد الجيران، هو يريد التخلص منه بأسرع وقت لكنه.. يخاف، يخشى منظر الدم المنبعث أسفل الموسى من رؤوس الأطفال الذين رآهم على الكرسي.. صراخهم يحتلّ أذنيه، بالرغم من ذلك الودّ الذي يحاول الحلاق أن يبدو على وجهه تجاه الأطفال.

انتبه إلى أنه بقي المنتظر الوحيد بعد أن ارتقى الرجل ذو الشارب المتراكم كرسيّ الحلاقة وأسلم شعره للحلاق، كانت الشمس تميل إلى الغروب خطر بباله لو أن له قوة خارقة تمكّنه من الضغط على قرص الشمس ليختفي، تمنّى من كل قلبه أن يُؤذن للمغرب فيُقفل المحلّ للصلاة.. تعلّق بشفتي الحلاق لعله يقول له تعال بعد الصلاة ويعود إلى أمه بعذر قوي قوة الغروب.. تمنى أي شيء يعيق أو يؤجل - على الأقل - صعوده على هذا الكرسي الأحمر.

قطع الحلاق شوطاً كبيراً في رأس الزبون

الأخير، والصبي يصارع نفسه وصراخ الجهاز المتعالي ونبضاته تتلاحق، نظراته تتيه، سرَّح نظراته من خلال زجاج الباب إلى الشارع، تابع السيارات والمارة، تطلعت عيناه إلى أعلى قليلاً، راح يتهجّى لوحات المحلات القريبة حرفاً حرفاً، باغته صوت جدته وأسماؤها المؤنثة، سكّين المطبخ تلتمع بين عينيه، خيوط الدم وصراخ الأطفال... أسند ظهره إلى المقعد المتآكل، تذكّر نقوده التي أودعها بيد الحلاق.. أطلق زفرةً قصيرة، التفت إلى الكرسي الأحمر كان الرجل يتهيأ للّمسات الأخيرة، تحفّز الصبي... (نعيماً) لم تكد تقفز هذه الكلمة من فم الحلاق وتلامس أذنيه حتى أطلق ساقيه للريح... مطيحاً بخزّان الشاي الصدئ.

* * *

إبـراهـيـم الـنـمـلـة

من مواليد 1969م ***(السعودية).***
صدر له مجموعة:
1 - ***دمعة الرداء*** (1995).
2 - ***ضجيج الأجساد والخطوات - تحت الطبع.***

الفال

حينما عم الظلام أركان غرفتي لم أكن موجوداً بها!!! كنت هناك على أريكة لم تمل سكون جسدي، أتصفح ذاكرتي من خلال نصوص شعرية متناثرة أبياتها فوق منضدتي، كنت أترقب بلهفة ظهور وجهها بين تلك النصوص.

وكانت هي......

روحاً التحمت مع روحي، رفضت شمس

الطرقات لتخلق ثواني من هدوء يتجسد بها التقاء الروحين معاً. تنعم هي كثيراً بابتسامتي وأنعم أنا باكتشاف المعاني التي قرأتها ولمستها برفضها لشمس الطرقات!!!..

ورحلت.. تركت بيني وبينها مسافات كبيرة. رحلت وتركت خلفها قلب طفل يعيش بعيداً عن جسده الصغير، وتركت أوقاتاً كثيرة من الفراغ، هدوء كثيف أتى خلفها واستكان على جدران غرفتي، أبكاني الظلام وبكى دمعي!!.

وامتدت ذاكرتي إلى منعطفات بعيدة عن تصوري حتى رأيتها أمامي!!!..

تصدح بصوتها الدافئ الحزين نفس أبيات الشعر التي شدوت بها في رحيلها!!.

* * *

... حينما مررت أظافري على باطن كفي، لحظتها تذكرت مقولتها..

(إذا حككت باطن كفك اليمنى سيرزقك الله بمال..)..

كان صوتها قريباً جداً من مسمعي حتى إني تلفت يميناً وشمالاً بحثاً عنها وصفعني اليأس وأدركت وضعي وابتسمت حينما مررت أظافر كفي اليمنى على باطن كفي اليسرى!!!..).

في غيابها دموع غسلت كل أنحاء جسدي..

وحزن استسغت طعمه حينما اعتاد وقتي على تجرعه..

وألم أخفيته على من حولي ووجدته في ملامحي..

ودعتني قبل أن ألقنها نطق الشهادتين..

ودعتني وتركت أشياء كثيرة خلفها ورحلت!!..

(1)

قال لي والدي ذات يوم:

الحمد لله لقد كبرت يا بني، لم أشعر بكبرك إلا بهذه الشهادة - ومد يده بشهادتي الجامعية التي كانت أول من لمسها - ولم يبق الآن سوى الوظيفة والزوجة - قال كلمته الأخيرة وفي نظرات عينيه ابتسامة لم أعرف مغزاها..

وكانت الـوظـيـفة.. وعـشـت فـرحة آخـر شهـر.. وأخذتني سنين عديدة قبل أن أجلس أمامه وأقول له:

لقد جمعت مـن مال الوظيـفة ما يكـفيني للزواج يا أبت..

حيـنما لمحت نـفس ابتسـامة السنـين الماضـية قـد عـادت من جديد في نظراته..

وكانت الزوجة.. بيـت يقطـن في الأدوار العليـا، وسعـادة ليـس لهـا طعـم السـعـادات الماضـية، رونـق مـن الأحلام كـانـت هي، وكـتـلـة مـن المـشـاعـر كـنـت أنـا.. وسقطت!!

سقطت ذات صباح قبـل أن أغادر الدار متـوجهاً إلـى مقـر عـملـي، وضـعـت يدهـا عـلـى جبـينـهـا ولـفـت بجسدها وكأنها ملدوغة ومن ثم سقطت!!..

تـركـت جسـدي عنـد بـاب الـدار وهـرعـت نـفسـي لهـا، هززت رأسها يميناً وشمالاً.

اتجهت إلـى غـرفـة الـنـوم وأحضـرت معـي قنـيـنـة عطـر، رشـشـتـهـا عـلـى كـفـي وأوسـدت كـفـي أنـفـهـا حتـى

رأيت حياتي تنكمش في عينيها حينما أوشكتا الانفتاح.

حملت جسدها وأوسدتها الفراش، نظرت إلي وكأنها تراني لأول مرة ثم ضغطت على يدي بقوة، عانقت شفتاها ابتسامة وقالت لي:

لا تخف.. فالله العالم أن ولي العهد قادم بإذن الله - ازدادت مساحة ابتسامتها حتى ملأت وجهها -.

حينها أردت أن أضمها لفرحتي بإفاقتها وبهذا الخبر السعيد..

(2)

أحلام كثيرة تبادرت في مخيلتها ومخيلتي، لم نكتف بذلك بل تمادينا في انجذاب الخيال إلى حيز الواقع، فكان هناك التخت الصغير المملوء بألعاب كثيرة ومختلفة وذلك المخزن الجدد الذي أوجدناه يحمل كل مستلزمات القادم الجديد حسب فحص الطبيب الذي قال لنا:

يبدو من خلال الأشعة أن المولود ذكر..

نظرت بابتسامة زهو إلى ملامحي وقرأت من نظراتها سؤالها.. قلت لها:

سيكون اسم أبي ما تنادي الطفل به.

ضغطت على يدي بقوة وعشنا سوياً في انتظار أن يتلحف جسده شمس الحياة.. كانت تضغط على بطنها بهدوء، أرى تعابير وجهها تحكي واقعاً من الألم، لم أستحمل هذا الوضع، قلت لها:

دعينا نذهب إلى الطبيب..

لم تمانع فوقع الألم أكبر من رفضها لذلك رغم انبثاق شيء من التردد في حركاتها..

(3)

قال لها الطبيب:

أنت الآن في الشهر التاسع والولادة على وشك.. عليك بالمشي.

قلت لها:

دعينا قبل مغيب كل شمس نجوب الأرصفة..

لا أنا أشعر بالتعب، وخاصة عند مفاصل قدمي..

تركتها لراحتها حتى دوى مسمعي صراخها..

لبست ثوبي علي عجل، أركبتها في المقعد الخلفي للمركبة، في الطريق لم أر الطريق، رأيي يعيش بنظرات عيني للخلف، وصراخها يكاد أن يخرج للمركبات الأخرى، وحينما دخلت من بوابة الإسعاف رأيت في ملامح كل الوجوه المزدحمة مأساتي، تفصدت في نظراتهم وكأنهم يبحثون فوق همهم همي!!!

لم أبال بهم كثيراً فليست لي القدرة على احتمال همهم فوق همي...

(4)

كانت لحظات صعبة، تناثرت فيها كل الأمسيات الماضية، هربت من واقع اللحظة إلى نافذة الممر الطويل، أنظر إلي اللاشيء، وأسقط في نفسي واقع اللحظة، أعيش بداخلها وأتوجع ألمها وأضم دمعها بعيني.

خرج الطبيب.. تساقطت نظراتي المبلولة على هيئته، ربت على كتفي بملامح من حزن.. حينها عرفت أن الحزن قد انثالت من ملامحه لتسكن ملامحي..

(5)

سحب أبي إلحاح تلك السنين الماضية ورماه على وجهي!!!

نظرت إليه بدهشة، قفزات الطفل الصغير وصرخاته تصنع بلساني ألف احتجاج واحتجاج.. رفضت إلحاح السنين.. ورميت رفضي تحت مسمع أبي.. وقال لي:

اسمعني بني.. لن تعيش العمر هكذا، والذي مضى انتهى فكر بنفسك وبحياتك وخذها مني كلمة يا بني.. ستؤول بك الأيام إلى مدركات لن تستوعبها أنت الآن، لطمني الصمت لحظات، رأيتها في صمتي أمامي، تقترب مني.. تقترب مني.. ترجلت من مكاني واقفاً ومدت يدي لها لأحضنها - كانت نظرات أبي تشوبها الفرحة والألم بنفس الوقت -

غشاوة دمعي ألغت كل المرئيات التي حولي، حضنتها وعشت عـالماً بعيـداً عن عالمي، قبلتهـا بكل ما أحمله من شوق ولـهفة لها.. لم أفـق من حالتي تلك إلا على صرخات ابني طالباً أن أبتـاع له بعض الحلوى وهو بين أحضاني.

2002/5/9

* * *

أحـــمـــد
الـقــاضــي

(الــســعــوديــة). أصــدر مـجـمـوعـة الـريـح وظـل الأشياء 2001.

بابلي

خيبات كثيرة صادفتني. في أول الأمر راجعت محفوظاتي ومعتقداتي كلها.. رسمت لنفسي طريقاً أتخيل أنه مناسب لمهارتي في العمل.

أقوم مبكراً. أصدف أسرع سيارات الأجرة، وعندما تقصر المسافة لمقر عملي يحصل شيء.. بل أصبحت أظن (أنه يجب أن يحصل شيء) عطل ميكانيكي في السيارة، أو حادث مروري يقفل

الشارع بسببه، أو تعطل إشارات المرور مما يشكل اختناقاً، أو عملية تفتيش بسبب أو دون سبب. أصل متأخراً: (دائم التأخر.. مخصوم منك..).

كلما تقدمت خطوة إلى الأمام خصم مني خطوتين إلى الوراء. لا أدري كيف لا أشتت ذهنك أيها القارئ.. لكن ساعدني.

أعود إلي المنزل، لا أحد، مطلوب مني عمل كل شيء. أبني أهدم أغسل أكوي أنام أحب أواصل الأصدقاء أقرأ. لكن باختصار لا شيء يساعدني على ذلك أضطر للنوم جائعاً. أختصر كل المزعجات بشيء الاستلقاء ببدلتي التي سوف أدفع ثمنها من راتبي المقبل إن لم يخصم. أحببت صديقتي «مي» قلت لها إنني رجل مشؤوم أرجو أن تتحملي. ضحكت معي كثيراً ثم ذهبت لمدير مكتبنا ذي الهيئة المرتبة صاحب البترول آخر موديل.

إنني تعيس أود قراءة كتاب الآن. أمد يدي للخزانة أحضر منها كتاباً قديماً بعنوان التعاسة الأبدية ليست سراً لمؤلفه معن رام وحيد. لقد سررت بقراءة

أجزائه الأولى على مدار ليالٍ كثيرة كثيرة جداً. كنت كلما أقرأ الصفحة أضع عود ثقاب في منتصفها ليشتعل يومي ذلك بما في الصفحة أو قريباً منه. طردوني من الشقة. أخذت أمتعتي رتبتها على الرصيف، وبجوارها جلست أنظر إلى العالم هل يتغير؟.

اسمي فلان.. أحب أن أفتش عن أشيائي الضائعة في أوقات الفراغ. فتشت مرة عن معطفي (ذاك المعطف الذي أتدثر به في شتاء تشرين المزعج) فلم أجده. لكنني جعلت لنفسي جدولاً للتفتيش، وكان المعطف في رأس القائمة. عند استيقاظي يلح علي هذا الأمر. أتناساه. أذهب إلي عملي، وبمجرد أن أجلس على كرسيي... ألاحظ ضياع شيء فأخرج القائمة، وكان هذه المرة قلمي العتيد الذي أعتز به أكثر من بنصري الأيسر في حال ضياعه.. وبعد جهد من التفتيش ثبت القلم في القائمة نفسها. إن القائمة تزيد، هناك من أعتقد بمشاغبته لي (ليس القدر بالطبع).

أصبحت أدون موجوداتي في أماكنها في دفتر أسميته دفتر الموجودات. لقد ضاقت الموجودات مع المفقودات. لم تفلح عملية التسجيل.. فعمدت إلى جعل لوحات فلينية في داخل البيت، عبارة عن أسهم.

السهم الأول يشير إلى خزفيات جميلة وثمينة بجانب التلفاز على يسار دولاب الصالة، والسهم الثاني يشير إلي فواتير تم تسديدها لكهرباء وهاتف وماء أحتفظ بكعبها، للزمن ولدرء بعض الأخطاء.

لم أعد أقتنع إلا بوجود الأسهم تحدق في الأشياء. كان هناك سهم يشير إلى كرسي بجانب النافذة الأثيرة، وأمامه طاولة عليها قهوة عربية حارة جداً كتب على السهم هنا (نفسي). إلا أنني عندما فتشت وحدقت لم أجدني.

* * *

نـــــورة
مــحـــمـــد
فـــــرج

من مواليد 1979م *(قطر).*
صدر لها مجموعة الطوطم (2001).

الخطايا

خطيئتي

لقد كان فعلاً مشيناً حقاً، أتذكره كأحقر ما فعلتُ في كل حياتي، لم أذكره لأحد قط، فهو كافٍ لأن يصبغني من أعلاي إلى أسفلي بسواد الذنب العظيم.

كانت الدائرة أمامي على ورقة الامتحان، وفي وسطها نقط خفيفة، لتعطي الإيحاء بأنها برتقالة.

كنت يـومهـا فـي مرحلـتـي الابـتـدائـيـة، فـي أول صف نتلقى فيه دروس الإنجليزية.

يـجب أن أكتـب اللـفظـة بالإنجليـزيـة، أعلـم أنـهـا Orange، ولكن أين تقع الـ e؟ قبل الـ g أم بعدها؟

تباً لكل برتقال العالـم (يومها لم أقل تباً ولكن أذكر أنني شعرت بكره لا حدود له تجاه البرتقال).

كانت البرتقالة مشكلتي الوحيدة بعد أن أنهيت كل الامـتـحـان، هنـاك مـشـاكـل أخـرى ولكـنـهـا أقـل خطورة، أما هذه البرتقالة!!

إحدى الـطالبـات الشـاطرات، كانت إلـى جواري، ولـكن طاولـتـهـا كـانـت مـتـقـدمـة عـلـى طـاولـتـي قلـيـلاً، بحيث كان بمقدوري أن أرى ورقة امتحانها.. رأيتـهـا تفتح نفس صفحة البرتقالة.

لقد غششت منها الـ e!!

ليست خطيئتي

كنت أبـحـث بـين أشـرطـة الـفـيـديـو، عـن شـريـط

فارغ، أو شريط لا يريده أحد، كي أسجل عليه فيلماً كنت أنتظر عرضه من مدة.

هناك رف مقسوم إلى قسمين، قسم للأشرطة الخاصة بي، وقسم لأشرطة أخي. لم أجد شريطاً مناسباً بين أشرطتي، ولكنني وجدت في قسم أخي شريطاً من دون طابع عليه.

فكرتُ بأن أخي لن يمانع إذا ما أخذت من عنده شريطاً فارغاً، ولسوف أعوّضه بآخر لاحقاً.

أدرتُ الشريط في جهاز الفيديو لأتأكد من أنه فارغ وأن بمقدوري التسجيل عليه..

لم يكن الشريط فارغاً كما ظننت، بل كان مليئاً، مليئاً جداً..

لا أستطيع أن أخبر أي أحد عنه.

* * *

يحيى العلكمي

(السعودية). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

سلمى

كما بدا لي فهي امرأة غاية في النشاط والدقة، حتى أنها لا تحدث ضجيجاً عند اشتغالها بأعمال منزلها، وكما يبدو أيضاً فهي تعيش بمفردها في أربع غرف متجاورة داخل حائط قديم، لكن هذا البيت على تواضع هيئته مايزال يقف بصمود في صدر الحي المكتظ بالمباني الحديثة المتنافسة هندسة وبناء.. وسلمى العجوز التي ألبسها عناء المقاومة من أجل

البقاء ثوب الكهولة واستل منها على حين غرة نضارة الشباب ماتفتأ تصول داخل غرفها المتجاورة دون أدنى حديث.

ذات غروب رأيتها تخرج فحماً وتشب في أطرافه النار، ثم تجلس إلى جوار الصاج ترقب المارة وتصغي بعناية إلى الأصوات المنبعثة من الشارع في ذلك الوقت بينما يدها تعبث برفق في خيوط ثوبها المشغول. شعرت حينها أنها تحتوي العالم في هاتيك العينين، وأنها تفتش في أنحائه عن شيء مفقود. كان ابنها ناصر قد تركها ذات مساء بعد نقاش طويل عن المستقبل والآمال.

- ولكني يا ناصر صرت أضعف مما تتصور.

- لن أتخلى عنك يا أمي، سأزورك بين فترة وأخرى.

- ألم يعرض عليك عمل هنا؟ أليست المدينة مليئة بالأعمال والمشروعات؟

- يا أمي يا حبيبتي.. العاصمة تختلف، هناك يمكن لي أن أتجاوز سنوات من الجهد حتى أصل لما أريد، هناك المشروعات، وكبار التجار، وآلاف الشركات،

هناك فقط يمكن لي أن أحقق طموحي.. أن أشعور بالراحة.

- وأنا يا ناصر؟ (سألته بنبرة المهزوم).

- أنت تبقين هنا: الجيران سيقومون بالواجب بل أكثر، وسأرسل لك مصروفاً شهرياً.

ذهب ناصر وعشر سنوات تنخر في كيان سلمى وغرفاتها، وقوافل الانتظار تمر كالمراكب المحملة وجبال من الصبر تنمو رويداً رويداً حتى شهقت، ولم يعد ناصر.

يشتد ومض الجمر من حولها، تغير لونه زفراتها الحارة من وقت لآخر. يتقدم منها أحد الجيران يناولها طبقاً من الطعام، تقبض على يده مع الطبق وتجذبه إليها بشوق ثم تقبل يده.

فوجئت مرة بابتسامة تعلو محياها عندما سلمت عليها.

- كيف حالك يا أم ناصر؟

- بخير، هل سمعت شيئاً عن ناصر؟

- (حاولت أن أخفف عنها): لا تخافي سيعود يوماً، وترينه في أحسن حال؟
- لقد رأيته ليلة البارحة في المنام، كان سعيداً، وممتلئاً (ثم ابتسمت ومرت بيدها المتجعدة - كثمرة ضامرة - على عينيها. (لقد كان هذا سر سعادتها).

وغبت عن الحي زمناً، ثم عدت، فألفيتها لاتزال تحتوي العالم بهاتيك العينين. لكن موقفاً جعلني حائراً لا أملك إجابة، حين لمحتها تخاطب عامل فواتير الكهرباء وهي تنظر إليه، بل أبعد منه:

- يا بني كل هذا المبلغ؟ من أين آتي به؟

ثم السؤال الذي روعه، إذ لم يكن يعلم:

ماذا لو كنت أستفيد من الضوء؟

ماذا لو كنت مبصرة، وأرى؟

* * *

فـاطـمـة الـرومـي

السعودية. نشرت العديد من القصص في الصحف والمجلات.

رؤيا

استـيـقـظ مـن نـومـه مـفـزوعـاً. طـاشـت يـده فـي الظلام وهو يتلمس مفتاح النور.. أضاءت الغرفة بنور خافت أتاح له رؤية صورته المنعكسة أمامه في المرآة، بدا شكله غريباً، وأنفاسه تتلاحق. بسمل بصوت متقطع وهو يتحسس رقبته بكلتا يديه. اطمأن إلى أن كل ما رآه لم يكن سوى حلم مزعج.

بقي محيطاً عنقه بكفيه كمن يحاول حمايته من

هجوم مباغت، لكن جفاف حلقه العارم دفعه إلى التخلي عن هذا السياج الذي يحيط بعنقه.. تناول الماء بجواره وارتشف منه قليلاً ولسانه يلهج بالشكر، التقط بعض أنفاسه، واستعاد شيئاً من الهدوء رغم أن جسده ظل مجهداً كمن خرج للتو من معركة. أغمض الرجل المجهد من كابوس خانق عينيه محاولاً إغراء النعاس بمعاودة التسلل إلى أجفانه لكن وقع هذه الرؤيا أبى إلا أن يسكب أرقاً في مقلتيه.

* * *

في مقر عمله سرد تفاصيل قص رؤياه المفزعة على زميله، وسأله برجاء عن أي شخص يحسن تأويل الرؤيا لكن زميله الذي لم يخف دهشته وخوفه من رؤيا كهذه نصحه بود نسيان الأمر وعدم الاكتراث بما رآه في منامه ليل البارحة قائلاً: كل الرجال وفي لحظة غضب أو نزوة إقدام قد تتدلى أجسادهم معلقة في الهواء.

بدا حائراً بين رغبته في معرفة مدلولات الرؤيا

وبين خوفه من عاقبة الأمر، لكن شيئاً ما يدفعه لتأويل ما رآه في منامه الليلة الفائتة؛ ربما إحساسه أن هذه الرؤيا ما هي إلا رسالة مغلقة ينبغي له فض مغاليقها.

ربما يكون هذا الشعور بالانقباض هو ما يدفعه للتفكير على هذا النحو.. ليضع رأسه بين راحتيه مستنداً إلى الطاولة: آه يالها من رؤيا مفزعة تنوء هذه الجمجمة بحملها.. عمل جاهداً على إغلاق كل الأبواب والمنافذ حتى لا تطل هذه الهواجس برأسها إلي الخارج متشاغلاً عنها بما أمامه من أوراق؛ لكنها تأبى إلا أن تمارس تسكعها بحثاً عن مخرج؛ فتفكيره ظل مشدوداً إلي ما رآه في منامه: ياله من حبل غادر.. ذلك الذي التف حول عنقي، وجعلني طوال ليل البارحة أتأرجح في الهواء جاحظ العينين، وزبداً أبيض يغطي شفتي.. يستغرب سيطرة هذه الأفكار عليه فهو ممن لا يعنيه أو يهمه شأن الأحلام والمنامات، إلا أنه مال وبطريقة غير معهودة إلى التفكير القلق وإطالة التحديق في المجهول لكن

صوت زميله لا يلبث أن يعاود تحذيره من مغبة الإفراط في مثل هذه الأفكار.

* * *

يجد نفسه محاطاً بعلامات استفهام كبيرة تتراقص فوق رأسه وحوله ليتخذ تفكيره منحى آخر: ترى ما الذي يدفعنا لتأويل أحلامنا ومناماتنا؟! أخوفنا من القادم المجهول هو ما يقودنا إلى ذلك.. أم هي مجرد محاولات لقراءة وجه أيامنا الآتية؟! يقول موجهاً حديثه إلى زميله الذي بدا منهمكاً فيما بين يديه من معاملات آملاً أن يشاطره زميله هذه الوجبة من الأسئلة: ترى هل ما نراه في هذه الرؤيا والكوابيس يعكس غالباً صورة ذلك المستقبل الذي لايزال في صحف الغيب؟

يجيبه الآخر بحياد واقتضاب:

ربما.. ربما.

يعاوده الحنين إلى حرث أرض الأسئلة بشيء من الفضول: أبحثنا عن تأويل ما نراه في مناماتنا يعد

محاولة منا لقراءة ما يخط في تلك الصحف، ونحن في مأمن من تلك الشهب التي أعدت رجوماً لكل من تسول له نفسه محاولة استراق السمع، أو الاقتراب من حيوات ذلك العالم البعيد ؟!

لم يظفر هذه المرة من زميله بشيء سوى أنه هز كتفيه وزم شفتيه دلالة على عدم الاكتراث، فلم ير بداً في هذا الصباح العابس من أن يتحسس عنقه ويعود إلي الانغماس في العمل مرجئاً إلى وقت آخر التفكير في معادلة الرعب.. الحبل والعنق، والرؤى المزعجة.

الرياض 1422/5هـ

* * *

مـحـمـد
أحـمـد
بـاسـنـبـل

(اليمن). نشر العديد من قصصه في الصحف والمجلات.

المتعجرف والزيزفون

قد يمتعض من يراني أمشي الهوينا في خيلاء، رافعاً رأسي في كبرياء، مزهواً بنفسي، لا ألوي على شيء، أختلس النظر بين الفينة والأخرى إلي حذائي الغالي، اللامع، خيفة أن ينثال عليه غبار. يتدلى من وسط خاصرتي خنجر معقوف كمنقار الببغاء، صنعت قبضته من قرن وحيد القرن، وبمئزر حيك بيد حرفي غالى في إتقانه، أسبلته حتى أخمص قدمي في

تكلف، صائخ السمع لحفيف شجيرات الزيزفون الهرمة، التي أكل الدهر عليها وشرب، تتهادى في دلال وغنج، ما إن ترضى قدماي الاقتراب منها حتى تحفني بظلالها الوارفة، مسبغة على الحبور، نختال بنفسينا في شموخ، تلفحنا الريح إذا ما رأتنا قد رنونا نبلغ الأرض طولاً.،

محض افتراء من يدعي أنه سيسري في عروقي يوماً ما بعض تواضع.

لطالما وددت أن ينزاح عن كاهلي مشقة عبوري هذا الطريق، إذ لا مناص لي من عبوره، مرغماً أسلكه، مرد ذلك أنه لا سبيل لوصولي إلى عملي سوى اجتيازي إياه. اصطفت فيه في خشوع منازل كئيبة، متهالكة، استحالت دون إذن قاطنيها إلى أطلال وعروش، تكتنز في جنباتها المتآكلة روائح عطنة، تزكم الأنف، تنبعث دفقاً دفقاً، تهمس لكل قادم ههنا موئل الفقر المدقع، مشيرة لشظف العيش الحضيض، حيث ما وليت وجهك أيها الرائي ترتسم أمامك دلائل العوز.

من الجهة المقابلة يقبع منزل وضيع، يؤثر الفقراء دوننا نحن الأغنياء بالمأوى، هجره مريدوه من أعالي القوم عندما أصبح ينتمي إلى الضعة والبؤس، وأيضاً شجيرات الزيزفون الخرفة، ضاربة جذورها في الأعماق كأنها أم رؤوم، مسدلة أوراقها إلى الأرض عن عمد، إحداها تغطي جذعها بلحاف مهترئ، ربما نسيه جَواب آفاق، تصطفيني بمنزلة عندها، إذ أعيث فساداً بأوراقها، وألكز جذوعها في خشونة، ولا تنبس ببنت شفة. صفوة القول، إن جاء رسامو الواقعية إلى هنا يوماً ما، فلن ينقصهم شيء إن هم راموا تجسيد الفاقة في أبهى صورها.

تابعت سيري بخطوات وئيدة متثاقلة، يندلق الفخار من جنباتي، مصوباً ناظري إلى أعلى، مخترقاً بهن عنان السماء، وفجأة انبرت على حين بغتة عجوز شمطاء في أسمال بالية رثة، جلبابها عتيق ممزق، رأسها مكسي بخرقة مليئة بالأدران، يشي الفقر المدقع من بين ثناياه، كأنه ولد للتو بين حجرها، يستقي آلامه ومآسيه من زبدة نحرها، شدت

إزاري في قوة وفي خنوع وبصوت ضارع متهدج قالت:

- أطعمني.

لا أبدو وديعاً حين تستثار عندي مشاعر التقزز، أبدو كالشيطان وربما أشنع، اكفهر وجهي جراء فعلتها النكراء وسرت في جسدي قشعريرة ممضة، ولولا أنني أمسكت فجأة في صبر بتلافيف الحكمة، وتجشمت عناء ما راودني من خواطر، في زجرها زجراً مقذعاً، لأسمعتها أقدح ما قيل، ولنهرتها في عنف واحتدام.

تالله، كيف كبحت جماح سورة الغضب التي تملكني؟ لا أعرف!

زعقت في وجهها في حدة متهكماً، وبصوتي الأجش قلت: رعاع.

نظرت شزراً من علٍ إليها، بدت لي بوجه كالح، وبعينين غائرتين في محجريهما، يشعان بريقاً لامعاً لا أفهمه، وبجسد ضامر حالك السواد، أفل نجمه، عاثت بلاءً فيه التجاعيد.

تـفـتـقـت عـن ذهـنـي خـاطـرة جـهـنـمـيـة سـودا ء، تبادرت وأنا أهم بالابتعاد عنها، ماذا لو سولت لي نفسي، وامتشقت خنجري المذهب، وأغمدت نصله في كبدها، أرديتها في غيلة قتيلة؟ لاريب سيكون الأمر وبالاً علي! حينئذ سيكلفني عناء تنظيفه من أدرانها، وهذا ما لا أحبذه، ولو دونه بذلي عطاء خمسة مساكين.

انفرجت أساريرها عن بسمة عريضة صافية، محت بها تجاعيد وجهها، وفي حنو وبصوت متهدج، ملتفتة إلي قالت: قوم طيبون، طيبون.

اقترب مني صبي صغير في تؤدة، لم يكمل ربيعه الرابع بعد، ضارباً بقدميه أديم الأرض في حياء، وبلثغة مست حديثه قال: أترى.. أتريد.. هي (بعسلة). لم أمهله حتى ينهي حديثه، إذ ما كان إلا مني إلا أن رميت من لحظي لججاً من الشرر المستطير عليه، أفضلت إلى أن آثر السلامة مبتعداً عني في خيفة، رائحاً صوب أمه في هرولة. نظرت نظرة إمعان إليها فساءني ما رأيت - أهي من استودعتها آثام

شرخ الشباب؟ أيكون الولد ولدي؟ وتكون العجوز أمي؟ ويكون الحي مرتع صباي؟

حين وصلت إلي الطرف الآخر من الحي، ألقيت نظرة وداع إلى صديقاتي شجيرات الزيزفون، ألفيتها منتصبة تكابد الهرم في عزم، ربطت عنقي في كلكلها حتى يسهل شنقي، وذهبت دون رجعة.

* * *

هيفاء الهلالي

الوجه الآخر

لـم تـكـن تلـك الـتـلال الـذهـبـيـة بقـادرة عـلـى استيعاب ظلال ذلك الجسد الغريب الذي ينتقل من مكان لآخر بل لم تكن أحداق «هنـاء» كافيـة الرؤيـة لالتقاط قسمات ذلك الوجه الظل الذي أخافها وهدد أمنها منذ نعومة أظافرها فهي لم تكن تهوى القفز فوق العثرات بقدر ما كانت تحلم بأن يكون دربها مفروشاً بالورود وأحلامها زاهية كنبتة العشق الجديد

في مساحات عاطفية خاوية جدباء.. تلتقط «هناء» أنفاسها من كابوس يراودها دوماً، وارتعاشات تهز جسدها النحيل.. وإحساس عميق لديها بأن هنالك أشباحاً تحوم حولها بكل أشكال الوحشية المفزعة المقلقة التي انتزعت من بين أجفانها النوم العميق الهادئ والقدرة على استيعاب الروتين اليومي بكل بروده الهادئ دون فزع.. أو ألم.. أو تعب.. تلتفت «هناء» وهي مستلقية وعيناها مابرحت تلتفت في كل أرجاء الغرفة بحثاً عن مصدر الخوف فيها تقاوم الخوف.. تستجدي النوم لتستلقي فيه تتثاءب تتحرك لتنام على جنبها.. وبمجرد أن تتحرك تشعر بأن هنالك حركة خفية خلفها.. تجلس فجأة.. «آه إلى متى هذا الإحساس بالخوف؟ إلى متى أركض وراء الحياة الطبيعية التي يعيشها أي إنسان بل أقل إنسان في هذا الوجود» تلقي بنفسها في دومة العتاب والسؤال إلى أن تمر قوافل النوم فتذبل أجفانها وتسبح في إغفاءة لاتلبث أن تنتفض حينما يدق جرس الساعة.. فتهب من بين كوم التعب.. تذهب كما اعتادت يومياً لعملها.. بكسل يعانق

أوصالـهـا لـكـن دقـات ذلـك الـقـلـب المجـهـد يـدفـع بخطواتها نحو مواصلة قدرتها.. تلتقي بزميلاتها تتحامل على نفسها لمجاملتهن بكلمة أو بسمة.. تجلس وراء مكتبها والأفكار السوداء تغلف مخيلتها تشرب قهوة الصباح ببطء ثم لاتلبث أن تلتقي نظراتها بإحدى زميلاتها تبتسم وهي تقرأ في عينيها علامات التعجب والدهشة من الحالة الصحية السيئة التي وصلت لها «هناء» تعاود ارتشاف القهوة لاتلبث أن يهتز الفنجان بين يديها وهي تصغي لسؤال صديقتها «رباب» الذي يقفر بين قطرات القهوة. رباب لا تبدين بخير يا هناء.. ما الأمر؟ أراك كل يوم وقد ازددت سوءاً حتى بعد عودتك من إجازة الصيف.. تمسك هناء بفنجان القهوة وقد تراقص مرات عديدة بين يديها تضعه على الطاولة وفي ذهنها إجابة واحدة تود أن تقولها وتصمت ألف عام وهي لا تتدخلين فيما لا يعنيك «لكن الأدب والذوق يفرضان إعطاء إجابة ولو عائمة ترضي فضول «رباب». هناء: «مجرد جهد.. «رباب». ترد رباب بشيء من التشكيك: «جهد وتعب فقط!! لماذا

ابتعدت عني يا هناء؟ فلم يعد يهمك أن تتحدثي معي.. أو تجامليني حتى بابتسامة صغيرة.. أراكِ طوال الوقت.. تعملين وعينيك على الساعةَ تستعجلين موعد الخروج وكأن هذا الباب هو بوابة الحياة.. وأنت هنا في صراع مع الموت.. أليس كذلك؟ تستمر «رباب» في التحدث لكن «هناء» تغفل عن بقية حديثها ماعدا عبارة «صراع مع الحياة» فلقد وقعت في قلبها موقعاً حارقاً بل لمست صميم إحساسها بالحياة والخيط الفاصل بينها وبين الموت تنهض باتجاه الباب وعبارات «رباب» الاعتراضية والتهكمية تلاحقها تتجه لغرفة المديرة تستأذنها بالذهاب للمنزل لظرف طارئ تسمح لها بالخروج.. فتندفع عبر بوابة المبنى عبر بوابة الهروب من علامة استفهام واحدة.. فما هو الحال بعلامات «رباب» المتدفقة بلا نهاية نحوها!! تدخل غرفتها تلقي بنفسها على كرسي وثير.. تتأمل غرفتها الفاخرة.. ذلك العالم المغلق حولها.. تسرح بأفكارها نحو تلك التلال الذهبية المتدرجة.. التي سكنتها بحقولها الخضراء القابعة بين كفوفها وتلك الطفلة

التي تركض بين الحقول.. نحو ذلك الظل.. تستند عليه دون أن تهرب من ظله خلفها.. وحولها تحكي معه وكأنه أبجديات الحوار.. كيف لا؟! وهو الذي اختار اسمها منذ ولادتها.. وذلك الفارق بينهما في الظل - والمساحة - يجسد في سنوات عمرها الغض.. بدايات مشروع الأمان الذي أفقده الظل بعد ذلك حقيقته.. تعبر عن خطوات الطفلة وركضها.. بلاد شاسعة من التلال وحقول وارفة الظلال.. وضحكات بدأت تتلاشى عندما بدأ جسدها يكبر وقلبها يتضخم وفكرها يتسع لينضج فيستوعب.. فقدانها للأمان كيف فقدت أنوثتها؟ فقدت أمومتها؟ فقدت إحساسها بلذة النوم الهانئ؟ والصحة الجيدة.. كانت كلماته تتردد في أصداء جوها: «سأكون لك السند.. الذي تلقين عليه همومك.. سأكون لك اليد الحانية.. والقلب الصادق..» كم من السنوات مضت وهي لا تعرف إن ذلك الظل هو الذل سلبها شبابها أوصد أبواب السعادة في وجهها وفرض عليها أن تكون نكرة رغم حصولها على شهادتها الجامعية بجهدها.. لكن نجاحها لم يكن يرضيه وتفوقها لم

يكن من ضمن مخططاته، كم من فرصة زواج أنهاها؟؟! وكم من خطوة نجاح أدماها؟! كان يفرض عليها الجلوس أمامه لساعات طويلة بحجة الحوار ليثقل عليها ليتحكم بكل لحظة فراغ تملكها كان يتدخل في شؤونها الخاصة في شكلها - في وزنها في تسريحة شعرها.. في ملابسها.. في رؤيتها للحياة.. مع الإنقاص والتحطيم.. ليقلل من شأنها كم وكم!! ولكن لأن ذلك الظل قريب جداً.. ولأن عينيها قد تفتحت عليه ولأن الدماء واحدة.. ولأن طفولتها رهنت به وغلفت بأكاذيب من حقوقه عليها.. وأنه السبب وراء تربيتها.. وإطعامها.. وكسوتها ورعايتها عندما كانت تحوم حولهم ظلال الفقر.. و.. و.. وكل ذلك جعلها تضع مصيرها بيديه إلى أن عبث به وجعل شبابها لعبة بين دواماته «السحرية». تتذكر كلمات «رباب» صديقتها الوحيدة عندما تأملتها يوماً وقالت: لم تكتمل نهايتها.. رغم كثرتها.. وأخشى أن تكون عراقيل حياتك كثيرة».. كانت «رباب» تتحدث بسخرية وعلى سبيل الضحك فقط.. ولكن كم من كلمات

حدثت ولم تكن في يوم ما سوى انطباع أو رأي تتأمل خطوط كفيها.. لو كان لديها القدرة على انتزاع الشوك منهما!! لو كان لديها القدرة على إكمال النهاية حسب ما تريد!! لكن معايشة الإنسان للقدر لا تجعله يمتلك تغييره إلا بالدعاء.. تنهض.. تصلي.. تدعو الله أن تعود تلك الطفلة التي غردت كثيراً في تلك الحقول الماضية، ولكن هذه المرة دون وجود ذلك الظل الذي ظهر جسده البشع بكل ملامحه الحاقدة.. ومشاعره الأنانية بعيداً عن ذلك الظل الشرير الذي جسده الحقد الكبير.

* * *

عـتـيـق الشـيـبـانـي

(السعودية) .نشر العديد من القـصـص فـي الـصـحـف والمجلات

ميلاد يوم

دخل إلى مكتبته. وأغلق الباب خلفه. جلس على الكرسي وأخذ قلمه تفحصه وقال:

آآآه ما أجمل تلك الأيام!

عاد بذاكرته إلى الورا ء.

- تفضل يا حبيبي هذه الهدية.

- أخذ الهدية وفتحها، ووجد بها طقم أقلام، رفع رأسه وابتسم وقال:

- «تسلمين» يا عمري وكل سنة زواج وأنت بخير.

- بل وكلانا بسعادة وهاء.

- سأكتب بها أول كلمة معناها أكبر من حجمها «أحبك».

قالت له مداعبة:

- ليست هذه الكلمة فقط بل أريدك أن تكتب أجمل القصائد في حبنا.

* * *

- يا حبيبي عندي لك خبر سيفرحك...!!

- نظر إليها، وقال باستغراب!!

- ما هو هذا الخبر؟!

- أنا حامل. ولقد تأكدت من ذلك عندما أخبرت أمي.

نظر إليها وعلامات الدهشة والفرحة بادية في وجهه...

- أأنت متأكدة من هذا الخبر؟

- نعم.. قالتها بثقة.

أخذ «غترته وعقاله» باستعجال وقال لها:

سنذهب إلى الطبيبة للتأكد من ذلك.

* * *

رن جرس الهاتف وقطع سرحانه، رفع السماعة وقال:

أهلاً... نعم أنا خالد... ماذا المستشفى... حسناً سأحضر حالاً... مع السلامة يا دكتور أحمد.

أغلق الهاتف وكان متوتراً وقلقاً وتمتم:

«الله يستر ويعدي هذه الليلة على خير».

استقل سيارته واتجه إلى المستشفى مسرعاً، أوقف السيارة وتوجه إلى الاستقبال وسأل الموظف:

- لو سمحت أين أجد الدكتور أحمد؟

رد الموظف:

- إنه بالطابق الثاني.

صعد إلي الطابق الثاني فوجد ممرضة أمامه وسألها:

- أين أجد الدكتور أحمد؟

- سوف يأتي حالاً! استرح قليلاً حتى أخبره.

جلس على أحد الكراسي وأخذ يفرقع أصابعه متوتراً قلقاً ويهمهم «الله يستر» ويجيب العواقب سليمة. ويقومك بالسلامة يا منيرة».

أتاه الطبيب وقال له:

- أهلاً.. أنت خالد؟

رد باستعجال:

- نعم، هل منيرة بخير؟!

- إن منيرة والجنين في خطر لأنها متعسرة في ولادتها، ادع لهما أن يلطف الله بهما.

نزل عليه الخبر كالصاعقة وقال:

هل يعني أنها ستموت هي وجنينها:

- «خل» إيمانك بالله كبيراً وأنه قادر على فعل كل شيء، سأذهب وإن جد جديد.

سأخبرك، فقط ادع لهما.

غادر الطبيب وهو يلاحقه بنظرات ذاهلة وهائمة حتى اختفى في آخر الممر بعد لحظات أذن المؤذن لصلاة الفجر.

توجه إلى المسجد بخطوات ملؤها الخوف والرهبة وهو يدعو لهما:

الله يستر وينجيهما بالسلامة يارب.

دخل المسجد ولم يكن به سوى المؤذن صلى ركعتين تحية المسجد وأخذ مصحفاً وبدأ يقرأ منه.

بدأ المصلون في التوافد وأقيمت الصلاة وقد أداها هذه المرة بخشوع، بعد فراغ الإمام ذهب كل المصلين إلا حارس المسجد، أخذ المصحف وأكمل القراءة، وتوقف عند قوله تعالى «حملته أمه وهناً على وهن» فتذكر زوجته وأغلق المصحف وغادر المسجد متجهاً إلى المستشفى.

كان الجو لطيفاً جميلاً مع بوادر بزوغ أشعة الشمس رويداً رويداً إيذاناً ببداية يوم جديد.

- الجو جميل وأحس بانتعاش في صدري وكأن ثقلاً قد انزاح عن صدري، يارب أرفق بزوجتي وهون عليها.

دخل المستشفى وصعد إلى الطابع الثاني وإذ الممرضة

تستقبله بوجه باش، فابتسمت ابتسامة عريضة وبادرته قائلة:

- مبارك... «جالك بنت».

- في هذه الأثناء جاء الدكتور أحمد وقال له:

- الحمد لله الأزمة عدت بخير ومنيرة وابنتك بخير وقد كانت قوية وصابرة ومتحملة الآلام.

- قاطعه قائلاً: أيمكنني أن أراها وأطمئن عليها: لا، ليس الآن لأنها متعبة ونائمة.. وأنت كذلك متعب، اذهب واسترح.

نظر إلى ساعته فإذا هي السابعة صباحاً.

غادر المستشفى وهو يقول:

الحمد لله الذي هون عليها، والله يعينني على زحمة الشوارع!!

في المساء ذهب إلى محل الورود وقال للعامل: باقة ورد واجعل بها كل الألوان كل ألوان الفرح

أخذ الباقة وتوجه إلى المستشفى إلى غرفة 315 بالطابق الثالث.

طرق الباب ثم فتحه وقال وهو سعيد بهذه اللحظة:

- مساء الخير والإحساس والطيبة يا عمري كيف حالك الآن.

- بخير والحمد لله.

- لقد اتصلت بك أكثر من مرة وقالوا إنك نائمة، نوم العوافي يا عمري.

- نعم أصحو قليلاً وأشعر بدوار وأرجع للنوم مرة أخرى.

- سلامتك وألف سلامة، أين العروسة؟

- لقد أخذوها قبل ساعة.

- في هذه الأثناء دخلت الممرضة ومعها العروسة، وأخذها من الممرضة وهو يذكر الله.

- الله.. ما شاء الله تبارك الله إنها جميلة مثلك.

- لا إنها تشبهك أكثر.

- دعينا نكون واقعيين فيها مني ومنك، ماذا تختارين لها اسم.

- «أنت أبوها وسمها».

- سوف أسميها «يوم» لأن هذا اليوم سأتذكره ما حييت، على فكرة لقد كتبت البارحة قصيدة جديدة وهي أجمل قصيدة كتبتها.

- ما هي هل تتغزل «فِيّ»؟!!

- إنها مكونة من أربعة حروف هي أ... ح... ب... ك.

- أحبك.. أحبك.. أحبك.. أحبك.

* * *

شيـــريـــن الـســالـمـي

(الـسـعـوديـة). نـشـرت العديد من القصص في الصحف والمجلات.

تربة الرحيل

كانت دقات الساعة تتسابق بخطى مسرعة، وكانت الشعلة الضعيفة لتلك الشمعة البيضاء، تتراقص على ألحان الرياح الباردة التي اقتحمت الغرفة من نافذتها الخشبية، لترسم جواً مخيفاً.. صامتاً.. وكأن شبحاً كان يحوم بيننا في تلك اللحظة.. أما هي.. فقد كان جسدها الصغير المتعب ملقى على السرير.. بعد أن أذبله الألم.. وأرهقته

العلاجات والحقن.. بقيت صامتة.. هادئة.. تنتظر من القدر أن يحكم عليها بأحد أحكامه.. وعيناها لا تقدران على اختطاف نظره إلى الوجود.. كنت أجلس على الأرض بجوار سريرها، بينما ظل الطبيب واقفاً بجسمه الضخم في الجهة الأخرى.. بصورة يبدو فيها بأن جميع ما يمكن أن يفعله أو أن يقوله.. قد نفد.. أخذت أراقبها بصمت.. وأتأمل ذلك الوجه البريء الذي غزاه المرض وأغرقته الصفرة.. أخذت أراقب عينيها المغمضتين.. وشفتيها الذابلتين.. فباغتتني صورتها.. قبل المرض.. حين كان وجهها يشع بياضاً.. وعيناها تبثان نوراً لا يمكن إخماده.. ذلك النور الذي يتلذذ المرء برؤيته في عيني فتاة في السادسة من عمرها.. حين كانت شفتاها الورديتان ترقصان لترسلا أجمل وأبرأ ابتسامة عرفها الوجود.. أما الآن فلست أقرأ في وجهها سوى.. الذبول.. اقتربت منها ببطء.. وهمست في أذنها.. «ستكونين بخير».. زحفت يدها نحوي بتثاقل.. فاشتملتها بسرعة بكلتا يدي.. وقلت مرة أخرى.. «ستكونين بخير.. يا ابنتي.. كوني واثقة». وابتسمت لها

ابتسامة هادئة بالرغم من أنها لم تفتح عينيها.. وأخذت أقبل يدها الصغيرة بحنان.. كان الطبيب يراقبني بصمت دون أن تظهر عليه إحدى علامات التأثر.. وكأنه قد اعتاد على مثل هذه المواقف.. فجأة.. أخذ جسدها يرتعش.. وصوت ضعيف لأنات مدفونة بدأ في الظهور.. خفق قلبي بشدة.. ونظرت إلى الطبيب أطلب منه المساعدة.. فانحنى نحوها بهدوء، وألقى عليها نظرة فاحصة.. خالية من الحنان، ثم عاد ليعتدل في وقفته ونظر إلي مباشرة وقال: «لا أمل!» لم أعر ما قاله الطبيب أي اهتمام.. فانحنيت نحوها وسألتها: «حبيبتي.. هل تشعرين بالبرد..؟» وانطلقت بلا تردد نحو النافذة وأغلقتها.. فوقعت عيناي في عيني الطبيب الذي ضم يديه ببعضهما.. لكنني تجاهلت نظرته وما كتب فيها.. وعدت إلى وضعي السابق.. وأمسكت بيدها من جديد.. «لن تشعري بالبرد مرة أخرى يا حياتي..» لكن جسمها لم يهدأ، وأخذ العرق يتصبب من جبهتها بلا توقف.. مرت لحظات غير قليلة وهي على حالها.. بعد ذلك هدأت الرعشة قليلاً، إلا أن صفرة وجهها قد زادت..

سألتها وأنا أمسح وجهها برفق.. «هل أنشد لك أنشودة (ابنتي)..؟!!» وكانت هذه أنشودة بسيطة يرددها الصغار.. لكني كنت أناغيها بها منذ أن ولدت.. فضغطت على يدي ضغطة ضعيفة.. إشارة إلى رغبتها بسماعها.. فقد كانت تحب هذه الأنشودة كثيراً.. اقتربت منها وبدأت أهمس: يا وردة الصباح.. قبلي ابنتي.. وداعبيها بلطف.. دون أن تجرحي.. يا إله السماء.. احرس لي ابنتي، واحمها من كل شر، ووفق زهرتي.. يا سحابة السماء.. راقبي ابنتي.. اعلميني إن أخطأت.. فستنالها ضربتي.. رسمت ابتسامة بسيطة عندها سمعت هذا المقطع.. وبدا عليها أنها تذكرت خوفها من السحابة.. فبسبب هذه الأنشودة ظنت دائماً بأن هذه السحابة هي التي تشي بها عند أمها.. فانطلقت مني حين رأيت ابتسامتها الذابلة دموع المرارة حتى كادت تقفل مخارج حروفي وتلجم لساني.. لكني تمالكت، وشهقت بسرعة لأكمل: يا نجوم الكون.. أخبروا ابنتي.. أني بروحي أفديها.. في اليوم وفي

فـأمسـكت بـفـمي مـحاولـة أن أكـتـم صرخة عـالـيـة.. صرخة من صدر أم تتألم.. فسألتها.. «أتعلمين كم أحبك؟» اتسعت ابتسامتها وسط دموعها.. وبعد لحظة قصيرة، عاد جسمها يرتعش بقوة.. وأخذت أناتها ترتفع، والعرق بدأ يتصبب من جبهتها بغزارة.. فنظرت إلى الطبيب نظرة مستنجدة.. خائفة.. لكنه لم يتحرك.. خفق قلبي بشدة كأنه يعلن رفضه للواقع بتلك الضربات العنيفة.. وأخذت أدور في الغرفة كالمجنونة.. أبحث عن شيء يساعدها.. شيء ينقذها، ثم ركضت نحوها مسرعة.. كأني أتدارك الوقت.. وقلت لها.. «اصمدي حبيبتي.. عليك أن تصمدي.. لن يصيبك مكروه..» لكن لم يبد أنها تمكنت من سماعي وسط أناتها المدوية.. لحظات.. وأطلقت من صدرها أنة عالية ضربت أرجاء الغرفة.. وشهقت بقوة.. أطلقت بعدها.. أنفاسها الأخيرة.. رحلت؟! لا إنها نائمة فقط.. نعم.. هذا أكيد.. لا يمكن أن ترحل.. سألت الطبيب والدموع تنهال من عيني.. «إنها نائمة.. أليس كذلك؟؟».. تفحصني بنظرة مشفقة.. وأمسك بالغطاء الذي ارتمى

فوق جسدها. ليسدله فوق وجهها.. نهرته بصوت عال.. «لماذا تفعل ذلك؟.. كيف ستتمكن ابنتي من التنفس؟ «فقال لي بصوت حازم فيه القليل من العزاء.. «سيدتي... لقد رحلت». رحلت؟ كيف رحلت؟ كيف تركتني في هذا المقام بدونها؟؟... كيف رحلت؟؟ ومازلت أشعر بأنفاسها تحوم من حولي؟؟ ورائحة جسدها الندية لم تفارق بعد ثيابها.. كيف رحلت؟ وأركان المنزل تنطق بوجودها... والأجواء مازالت ترويني بألحانها.. كيف رحلت؟؟ وكل ما في الوجود يصرخ باسمها.. كيف رحلت.. ومازلت أسمع صوتها يتقاذف مرحاً بين الأشجار.. كيف رحلت؟؟ مازلت أسمع بكاءها يعلو في الخارج.. وأقول باسمة «حشرة.. أخافتها..» ومازالت دموعها متناثرة في زوايا حجرتها.. ومازلت أرى اسمها مكتوباً بخطها المبتدئ.. على أوراق تناثرت فوق مكتبها... كيف رحلت؟ ومازالت سكاكرها المفضلة.. داخل أدراجها.. فكيف؟ كيف يقول رحلت؟ يا لحناً ضرب أوتار القلوب.. لا ترحلي.. يا حباً روى روحي القاسية بالحنان.. لا ترحلي..

يا شعلة أمل أضاءت ظلام وحدتي.. لا ترحلي.. أرجوك.. لا ترحلي لمرة واحدة.. لمرة أخيرة.. اركضي نحوي بشقاوتك المعتادة.. ضميني بعنف بيديك الملائكيتين، وقبليني بحرارة، وقولي للمرة الأخيرة.. «أحبك.. يا ماما».. للمرة الأخيرة.. دعيني أقبل عينيك.. دعيني أناغيك.. دعيني أرى ضحكتك الأخاذة، لكن لا تتركيني فريسة الضعف. لا تغرقيني في بحور المرارة. لا تحرقيني وسط جحيم رحيلك. لا تقتليني بنبال الفراق.. رحلت.. رحلت يا ابنتي.. بلا وداع.. رحلت.. يا ابنتي.. وبقيت بدونك في الضياع. رحلت ورحل الأمل معك، ومات القلب ذليلاً. رحلت إلي تحت التراب. فهل سيخفق قلبي من جديد؟ أم أنه قد دفن بتربة الرحيل؟!

* * *

صـــالـــح
أحـــمـــد
الـقــرنـــي

مـن مـوالـيـد (الـسـعـوديـة) 1974. يعد لإصدار مجموعته الأولى.

هذا ما حدثني به ولده

في مساء جميل من مساءات القرية الحالمة القابعة في أحضان الطبيعة القروية التي تحدث عنها الكثير وفي المقدمة (الشعراء) من أبناء المنطقة الجنوبية حين المرور بها أو حين يتم استدعاؤهم في حفلات الزواج.. حدث في هذا المساء أمر لم يحدث من قبل في تاريخ قريتنا!!

من العادات التي كانت تتميز بها القرية قبل هذه الحادثة أن الرجال والنساء يجتمعون عند الشيخ لاستماع أغاني أم كلثوم والأخبار وبعضاً من المسلسلات الإذاعية ونور على الدرب وهنا القاهرة، ولكن سطوة الشيخ على المجلس يرغمهم على سماع الإذاعة اليمنية، لأنه يحس بالنشوة والفرح البريء كما يزعم معيض بن حسن الممتلئ حقداً وغضباً على الشيخ وبعض أتباعه.

أصبحت هذه الحادثة تاريخاً يخص القرية ففي كثير من أحاديثهم يتخللها بعضاً من الكلمات.. ما قبل الحادثة ما بعد الحادثة.. يوم الحادثة.. عشيتها.. بعد ظهر ذاك اليوم أو «فالعشي» والتاريخ لا يرحم أبداً ولا يغفر خطايا الناس.. علماً أن الكثير والكثير عبر امتداد تاريخنا من يحاول أن يتوه أو يمحي ما هو سيئ ويظهر ما كان حسناً.

في هذا المساء الجميل يحيط بنا الهدوء، ويحتوينا الضحك ونداعب ما تبقى من فرح بدواخلنا البريئة.. تطلعت الى السماء رأيت نجوماً تبزغ لأول

ورأيت نجوماً تتوارى عنا بالغيوم.. وأخرى تظهر على استحياء.. وربما يعود ذلك لهذه الحادثة المؤلمة التي وقعت في شباكها القرية وعندما أتذكرها أقع في شباك الهم.. ويستأسد عليّ قلقي مكشراً عن أنيابه الحمراء.. أتتنا طفلة في الثامنة أو السابعة أو الثامنة. «الثامنة» هذا ما أكدته لي أمها، اقتربت منها وهي تبكي وعيناها كنجمتين متوقدتين، احتضنتها أمها وهي تبكي بدأ أكثرنا يحلل الموقف.. سمعت همساً من الخلف.. لعلها لدغت أو تعرضت لموقف محزن.. أو تحرش بها أحد.. ومازالت الأشباح تواصل الهمس ولكن بطريقة استفزازية تحرض الغضب بداخلي وحين هدأت الطفلة سألها الشيخ..

- وش بك؟

احتضنتها الأم وسألتها بلطف:

- وش بك «حبيبتي».

- جيت عند علي بن حليمة ولقيته راقد، وحاولت أن أقوّمه وهو ما يتحرك!! ضحكت عليه..

وفجأة شفت دم يخرج من «ثمه»[1] خفت.. وجيت عندكم.. قوموا شوفوه!!

ركض القوم نحو الحادثة التي وقعت في بيت «ابن حليمة» ليقفوا على الأمر.. وجدوا جسده مسجى على قعادته يتدفق بالدم الدافئ اللزج.. نظر الشيخ إلى رجاله وأمرهم بدفن الجسد وبعد إقامة التعازي في بيت الشيخ.. بدأت الأنظار تبحث عن الفاعل وفي مجلس الشيخ يتقافز الهمس إلى أذني صوت يقول: علي بن حليمة ليس له أعداء.

صاحبه: ونسيت حسن علي.

آخـــر: ربما يكون حسن أو غيره.

آخـــر: مثل من؟!!

ويسود الصمت عند دخول الشيخ المحاط بالحزن على فقد صديقه العزيز ومستشاره الأول في الأمور الكبار والمشاكل التي تواجه الشيخ ليجد عنده الرأي السديد والكلمة الصادقة المنقذة.. يبدأ الشيخ بالكلام.

2) ثمه: فمه.

تعلمون يا رجال أنا فقدنا صديقاً عزيزاً على الجميع نحبه كلنا وقتله قلق الجميع والآن نريد معرفة الحقيقة.. الحقيقة، «الحقيقة».

عرف الشيخ القاتل وهو موجود بالمجلس، لأن الشيخ استخدم حكمته وفراسته التي تميزه عن شيوخ القبائل الأخرى، الأغبياء كما وصفهم الشاعر أبو علي الجريء.. وهو يتحدث إليهم كان منكس الرأس ينظر إلى الأرض وعندما قال: «والآن نريد معرفة الحقيقة.. الحقيقة» رفع نظره إلى أعين الرجال الحاضرين الناظرة إليه ماعدا معيض بن حسن وتعود إدانته لأمرين، لأنه لم يحضر مجلس الشيخ ذلك المساء «مساء الحادثة» ولأنه لم يكن في زمرة الرجال الذين شخصت أنظارهم تجاه الشيخ، ولعل الشيخ اكتسب فراسته من كثرة ما يقوم به من تحليلات سياسية للأخبار التي يسمعها عبر جهاز الراديو واستخدامه لسلطته كوسيلة لإقناع من يحيط به من جذوع الأشجار الجوفاء.

لم يبح الشيخ بما عرفه في مجلسه، ولكنه التزم

الصمت وهي وسيلة من وسائله الذكية إذا أراد أن ينصرف عنه الرجال.. وأخذوا في الانصراف والاستئذان.. وبدأ يتململ معيض بن حسن من جلسته وأراد النهوض.. ولكن فراسة الشيخ كانت أسبق، إذ قال له:

- تعالى إلى هنا لأتحدث إليك!!

- أبشر.

- كنت آخر رجل يقوم من مجلس الشيخ وعند الخروج رفعت نظري تجاه السماء وإذا بالشمس تداعبني وهي في المنعطف الأخير من حياتها ذلك اليوم متمسكة بأهداب الشفق في قريتي التي كانت جميلة ذات مساء[2].

وفي صباح اليوم التالي عندما أشرقت الشمس مجددة، الأمل في الحياة ركض الجميع تجاه مزارعهم لزراعة حقولهم وتعويض ما فاتهم من وقت مهدر في أحاديث وتحليلات حول حادثة قتل علي بن حليمة

2) هنا حلقة مفقودة لم أستطع أن أتعرف على أبرز خيوط محادثة الشيخ لمعيض بن حسن وتحويل التهمة إلى غيره.

وما أحاط بها من غموض مخيف.. كثير من القضايا التي تغطى بدهان الكذب وتزيف وتعلق وتودع في الأدراج وتقيد ضد مجهول..

غـــالـــيـــة
خـــوجـــة

سوريا.

المشعل المهجور

قلتِ للدرب المهاجرة:

- التفّي على غربتي، وعلى.. جروح الصفصاف.. ثم، انتبهي على دموعي من الجفاف، ولا.. تضيعي في المقبرة..

كانت أبنية المدينة تستعيد حركة الساكنين.. والشوارع تتهيأ لأقدام المارة، ولضجيج المركبات.. .. ونباتات الحديقة تستيقظ على خيوط الفجر..

وكانت بعض الأحلام تسبق أصحابها إلى الدرج، إلى المخابز، وإلى أمكنة العمل..

وبعد أن حرثتْ نظراتُكِ عرائش الورد الناعس، وتلك النافورة المتثائبة حيث يوماً وقفتِ أنت وهو تتساءلان: بماذا توحي قطراتها الصغيرة وهي تغوص تحت صفحة ماء البركة؟..

على صفحة الماء، حينها، رميتِ تويج بنفسجة وغصن حبق.. ثم قلتِ:

- القطرات تعزف ترنيمة جميلة، وتسقط من النافورة لتعود إلى أمها..

يومها..،

كان شديد الشرود، والسهو، والحنان.. فلقد مد يده وحضن يدك بمحبة لازالت آثارها على أصابعك، وقبّلكِ بشوق قائلاً:

- ألا تشبه النافورة قلباً جُرح الآن..؟

قلتِ:

- ربما..، غيمة تنزف، أو، تضحك.. الآن..

لحظتها.. قهقه ناسياً ما يشبه أحزانه..

- قيل: إن الذي نسيه صار صفصافاً..

ولحظتها.. لم تفهمي ماذا كان يقصد.. وماذا قلت..

لكنه حملك بين ذراعيه، ودار بك.. ثم توجهتما إلى محلات الأزياء.. اشترى لك ثوباً بكل النقود التي كانت معه.. الثوب أبيض، مزركش بأزهار صغيرة ملونة.. فرحتك كبرت.. حتى.. ملأت وجهه بالحمرة، وقلبه بالوهج..

قفزت.. فتطايرت أطراف الثوب مثلما تطايرت ضحكته مع النسيم الصافي.. كأنها لتوّها تصدح في الآفاق..، خلف الشمس، وقرب الأيام التي ستأتي..

وكان.. أن مررتما بساحة مكتظة بالناس..

أطفال ورجال ونساء وشيوخ ورضّع.. كأن الأزمنة كلها انحشدت في هذه الساحة..

حاول أن يزاحم.. أن يجد مكاناً..

- عفواً سيدتي.. أتسمحين؟

قال لإحدى الواقفات، فأجابت:

- فقط من أجلها.. الله! يالروعتها وأناقتها..!

خطوات أخرى، و.. تصيران في الصفوف الأمامية..

كانت فرقة موسيقية جوالة تستعد لعرضها.

خمسة شبان يعزفون على الأبواق الصفراء استعداداً للعرض..

وفتاة شقراء تحرر السهم من قوسها.. فتهدأ الموسيقا، ويصعد المنصة الخشبية بهلوان كبير الأنف، ملون الثياب، مكحّل العينين.. يقفز في الهواء.. يمسك قبعته، ثم.. يقف محيّياً الجمهور بفمه الأحمر الواسع:

- يسعدني حضوركم..

فتصفق فتيات الفرقة، ويرفع الشبان أبواقهم عازفين فاصلاً موسيقياً..

يتابع البهلوان:

- سنقدم عرضاً أنا وزملائي يحتاج للإصغاء بالآذان والعيون.. نتمنى أن ينال العمل إعجابكم.

وبينما ينزل المهرج على يديه، جاعلاً من قدميه

قـوساً فـوق رأسه، يـصفـق الـنـاس تـصفـيـقـاً مـصـحـوبـاً بضحكات وبنظرات ملهوفة ومنتظرة.

ومن الخيمة المنصوبة بعيداً عن المنصة الخشبية، تخرج فتاة سمراء مرتدية ثياب فارس تاريخي.. تخطو قاطعة بسيفها الهواء، محدثة صوتاً يوحي بالقوة..

تعتلي المنصة وتخاطبكم:

- تخيلوا أفقاً بين صباحين.. أفقاً لا يعرف الغروب.. لكنه، توسّد المراكب المشتعلة بين البحر والشاطئ..، وطلع من قلوب الجنود وقائدهم الذي قال لهم: «البحر من ورائكم، والعدو من أمامكم، فأين المفر؟» في ذلك الزمن صغرت الأرض، فلم تتسع إلاّ لعاشقَيْن: طارق بن زياد.. و.. النصر..

يرتفع تصفيق متواصل تشاركين به أنت وهو وكل من سيقرأ القصة، وتزغرد بعض النسوة، ويرفع الرجال رؤوسهم شامخين بتاريخ أجدادهم.. وتبدأ فرقة المسرح رقصة السيوف المرافقة لمعزوفة تقرع فيها الطبول المتناغمة مع أصوات الأبواق وأصوات الشهداء..

يقبّلكِ هامساً:

- كم أنت جميلة اليوم..!..

تضحكين ببراءة دُوار شمس يطارد الأشعة ليمسك بالنهار.. تخفت الموسيقا.. ويتسلل البهلوان من بين أفراد الفرقة.. يقرفص بعيداً عن المنصة، وبصوت حزين يحاكي السماء:

- متى سيعود ذلك الزمان؟.. متى سنقف أمام الموت والعدو..؟ متى سنوحد فعلنا لنكتب زماننا الجديد.. ذلك الزمان الذي ننتظر؟؟..

يظهر أن الغيوم استجابت لأسئلة البهلوان، فبدأ رذاذ صيفي يهطل علي الرؤوس متعانقاً مع دمع الوجوه، ومع الثوب الأبيض المزركش بالورد البهيج..

- أترغبين بمتابعة العرض؟.

- بكل تأكيد..

قلت ذلك، ونشيج حاد يتفرد بحنجرتك، ليس من أجل الثوب، بل..، من أجل حالنا اليوم كعرب.

قفزت الفتاة الفارسة إلى المنصة.. ضغطت بكل قوتها على السيف الذي ظل وحيداً على خشب المنصة،

بما في ذلك من إشارة إلى: أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.. ثم قرفصت الفتاة قرب البهلوان، ووضعت رأسها بين يديها.. وكان حول الجميع موسيقا جنائزية سوداء، حمراء، بيضاء، وخضراء.. معبرة عن دواخل المشاهدين والعارضين الذين اقتربوا حاملين نعشا« فُرشت عليه أنواع مختلفة من الأزهار، يتوسطها أغصان غار وزيتون، رُصفت بشكل دائريّ، توحي للإنسان العارف بأنها رمز لدائرة التكوين التي تداولتها الأساطير علي هيئة أفعى ذيلها في فمها..

مشهد جنائزي يتقدم..

الألحان تبكي..

والعيون،

متخمة بحزن قديم.. قديم..

يعتلي الموكب المنصة الخشبية.. ويضع النعش قرب السيف.. ثم يتوزع أعضاء الموكب ويقرفصون على هيئة رأس حربة قرب الفتاة والبهلوان.

تغيّر الموسيقا حركتها..

لا تتغيّر ألوان الموسيقا..

فينسحب الحزن من العيون ليدخل محله استفهام غامض.. لا يلبث أن يتبدد حين ينفتح غطاء التابوت ويخرج منه مقاتل، يرمي هيكلاً عظمياً. كان يغطيه، على المنصة.. ويطلق في الفضاء، فوق رؤوس المتفرجين والقرّاء، حمامة بيضاء تحلق بحرية وابتهاج ثم تغيب.. تغيب.. ولا يغيب المقاتل.. فهاهو يأخذ بارودته من كتفه، يُخرج من فوهتها غصن زيتون.. ثم يُخرج قلب بلاده الذي مازال نابضاً.. نازفاً..، ونازفاً.. تتبلل يدا المقاتل بخطوط دم حمراء تقطر من ساعديه على خشب

بمنديل واحد يجفف دمعه ودمعك.. ودفعة واحدة، تعزف الآلات نشيداً يرقص على أنغامه الرذاذ.. ولا.. تنسدل الستارة.. ولا.. يعود الميت إلى النعش..

يلفّ ذراعه حول خصرك.. وتسلكان مع الجمهور المتفرق إحدى طرق المدينة المؤدية إلى بيتكم حيث أمك تنتظر.. يومها..، تناقشتما طويلاً حول رموز المسرحية التي ملأتكما بلهب الأزمنة والتصفيق والمفارقة الكامنة بين السيف والنعش والانبعاث والرذاذ وألوان الموسيقا وشجاعة طارق بن زياد والزركشة المعمارية القائمة حتى الآن في غرناطة..

يومها،

لم يكن البرق يتحرك في الأعالي..

ألم يستقر في جسديكما ؟..

ربما، اللحظة، تذكرين كيف ردّ على سؤالك:

- أين نحن من العالم؟

كان متورد الوجه والقلق، ومتفائل الكلمات حين قال:

- ستشرق شمس العالم منا.. مرة ثانية.. سَـ.. تُشرق.. غداً.. وستستمر بلا غروبات.. وسيحاول العالم أن يلحق بمدارها..

وها قد أشرقت شمس الغد..

وها أنا أقول للطريق المؤدية إلى قبركَ:

- احتفظي بظله.. بخطواته.. فإذا مشيتِ وراءه، فلن.. تضيعي..

الدرب المتعرجة صارت خارج المدينة..

وقامتكِ تستقبل تباشير الصباح.. وسلّتا الورد أتعبتا يديك.. وثيابك المرقعة تفوح بآلام كثيرة..

لقد طوت ذاكرتك فصول ملامحه مع فصول السنة..

وخطواتك.. كل يوم، تطوي هذا الطريق مع نظرات المارة الذاهبين والقادمين..

هكذا..، في غمرة انفرادك بنفسك، يقاطعك صوت يرشح من مسام الأوراق الخضراء المتساقطة من أشجار الطريق على الأسفلت والرصيف.

لم تسمعي من قبل مثل هذا الصوت وهو يتحدث إليك:

- أنا الزمن الآتي.. أنا من يحكم الأحلام في عباب البحر، في تضاريس البر، وفي فصول الفضاء.. أنا من لا صوت لي.. أسمعك بأنني حين أريد أن أحقق حلماً، فإنني أسرقه من أفكار ورغائب صاحبه، وأجعله على هيئة سفينة مجنحة.. عندما أكمل آخر ريشه فيها، ترسو في موانئ اللحظة..

الصوت عميق.. وبعيد.. كأنه آت من مكان لا يُرى من دواخلك.. ويستمر الصوت في التبخّر من جلدك.. ويتصاعد كدمك إلى رأسك.. و.. فجأة.. تهب عاصفةَ تتغلغل بين الأغصان وسلّتَيّ الورد وجسمك.. تلمّ صوت من لا صوت له.. وتجمعه كمشعل يتأرجح أمام عينيك..

لا.. أحد يحمل المشعل..

ولا.. أحد يراه، سواك..

ولا نار في المشعل سوى وجه كدتِ تعرفينه..

ولا.. كدتِ تتعثرين بحجارة باب المقبرة..

يسبقك المشعل إلى قبر أبيك. تقبّلين الشاهدة.. تضعين سلتي الورد أمامك.. وترقبين وجه والدك المتوهج في المشعل.. كأنما جبال العالم كلها تتحرك وراءه.. وبحار العالم كلها هائجة، بمراكبها وسفنها وأمواجها تستغيث به.. تستغيث.. تنادي عليه..

النداء يتجاوز الجبال والبحار والمدينة..

يتعاظم النداء أكثر..

فتختلط عليكِ الأصوات:

- صوت أمك التي تمنت أن تبيعي الورود بسرعة كي تتناول معك الطعام.. صوتها رقيق أمرضه الحزن على والدك.. كم.. أوصتك بتقبيله.. وبطمأنته عليها..
- صوت طفل ورجل وامرأة يشترون منك ورداً.. يضعون لك النقود علي القبر، ثم يجلسون قرب قريبهم الذي دفنوه البارحة..
- صوت الموتى الذين بدأوا ينفضون الأتربة عن أجسادهم وعظامهم وأرواحهم، ويتشابحون حول المشعل الذي بدأ يصير قصراً بديعاً مائلاً إلى الحمرة، منتصباً بعزة وشموخ فوق هضبة مشرفة علي مدينة منشغلة

بـالسـحر.. الـقـصـر يـبـتـعـد.. ثـم يـبـتـعـد.. وأشـبـاح الأموات، كالدخان المتشكل بعد الصاعقة، تتكاثف ثم تنبسط لتكون الطريق الوحيدة المؤدية إلى القصر.

لقد لمحتِ نفسك تسلكين هذه الطريق بينما لم تغادري مكانكِ.. وها.. يدك تعطي بعض الورد لمشتر آخر ترك على القبر نقوداً.. تلمحين نفسك تمشين مسرعة، والطريق تتدرج بالارتفاع، وبالتعرج.. وما من صوت سوى صوت الزمن الآتي، وصوت لهاثك، وخرير سواقي الماء النقية التي تغريك برودتها الفضية بالشرب..

كم هي عذبة هذه المياه.. فلقد منحتك قوة أخرى لمتابعة الطريق الصامتة والساكنة.. ورغم هذا الصمت الرهيب إلا أن سكوتها يتكلم.. ويناديك.. فتصلين غابة كثيفة.. أشجارها الهرمة تغطي وجه الهضبة، وتمتد لتصافح أسوار القصر من كل جانب..

الرهبة تغمر قصر الحمراء ومن يدخل إليه..

الرهبة تحتويك.. فيخفق الجمال التراثي.. وتخفقين

بالغرف والقاعات والأجنحة والـ.. كأنه مدينة تداخلت زخارفـها وخطـوطها المستقيمة والمقوسة والمنحنية، ورسومها، وزجاجها المعشق، ورخامها الفريد..

وصلت فناء الرياحين الذي تتوسطه بحيرة مستطيلة، مياهها تغني مع رائحة العبق، فترقص الخضرة المجاورة.. وعلى هذا الإيقاع تتفتّح أبواب الغرف المصنوعة من خشب الأرز، وتنغلق أبواب أخرى..

كأن السقوف المزينة بأرقى فن تشكيلي صار لها ثوب مكشكش يميل معها، ويدور حول قدميها كأبرع راقصة «فلامنكو» ستطلع من فجر أسطوري..، لترمي شالها الجميل على الذرا الساطعة من نقاء يوم بعيد أتعبه الحنين فحوّله إلى زعفران وزنابق وياسمين وقرنفل وأضواء تنعكس من فناء السباع على هيئة ماء مقذوف من فم كل سبع إلى سر غامض لا تعرفه إلا الجدران والبركة والماء والأعمدة والليالي المرتعشة في آفاق

يرفعك عن الأرض شاب كان قد اشترى آخر ما في السلتين..

يساعدك على الجلوس..

- أنا.. دا.. ئخة.. الدُوار.. المشعل.. القصر.. الـ..

يُحضر لك ماء.. فتشربين وتنظرين حولك.. المقبرة طقوس اعتدت عليها.. أناس يبكون بحرقة.. وأنا يقرؤون الآيات بصمت.. وأخرون يقرفصون فوق التراب.. بينما حفار القبور يجهز حفرة جديدة للميت الذي رأيتِ روحه قبل قليل تعانق بعض الأشباح.. فعرفتِ أنهم أخوته وأمه وابنه الصغير..

كنت كملاّح ضاع سنين في المحيط.. وحين رأى اليابسة، وقف مذهولاً، ثم.. هتف:

- أمازلتُ حيّاً؟!!!

صرختِ:

- أحقيقة لم أمُت بعد؟!..

يمسك بها الشاب المستغرب بهدوء ويقول:

- هل أساعدك بالذهاب إلي البيت؟

الشاب يكرر السؤال..

شاهدة قبر أبيك ترشح ماء.. كأنها جرّة أزلية، منها.. يتفجر، اللحظة، ينبوع بارد ونظيف.. كل الناس يتركون موتاهم، ويتحلقون حولك..

الموتى يتركون عظامهم ويهرعون إليك بعدما سحبوا ضيفهم الجديد من تابوته..

يصل إلى مسامعك: صوت ناي حزين.. وصوت قيثارة تنفصل عن اللوح المنحوتة عليه..

نشيد خفيّ يتأرجح مع المشعل..

عيناكِ تتأرجحان مع النشيد..

مطر غزير يقتحم دهشة الحاضرين..

وكفتاة مسحورة، تضعين رأسك تحت مياه الينبوع.. تغسلين شعرك.. وجهك.. كل جسمك.. يشتد المطر.. يملأ الوحل حفرة الميت الجديد.. يدوّي الرعد.. يلمع البرق.. تضربك صاعقة مفاجئة.. و.. تدخلك في المشعل.. وبطرفة عين تصيرين حمامة شعاعية.. تجربين الطيران.. تفردين أجنحتك.. ثم تضمينها..

ها أنتِ تطيرين فوق كل العيون..

الفضاء،

والمطر،

والموسيقا،

لكِ..

فمنذ ذلك اليوم،

وأنت كل فجر تنوحين على نافذة أمك، وتدورين حول النافورة، ثم تبتعدين إلى المقبرة.. منذ ذلك اليوم..،

وأنت كل مساء تختبئين في تابوت كل شهيد محمول على الأكتاف.. سيدفنونه الآن.. وكلما رفعوا غطاء التابوت.. لم يجدوا غير ثياب الشهيد ملفوفة بالعلم، عليها غصن زيتون.. وقرب الغصن طفل يصرخ باحثاً عن ثدي أمه، وشعاع أزرق يطير باتجاه المدينة...

كلما سيفتحون تابوتاً..،

لن يجدوا غير قلب الوطن مسافراً مع الشعاع....

* * *

أنـــــــور
أحـــمـــــد
نـــــاظـــر

(سوريا).

قيثارة الشهيد

عندما أسدلت العتمة جلبابها فوق أطراف القرية كانت قطرات المطر تعانق سمرة الحقول، حبات المطر تشبه انبعاث الروم في زمن الاغتراب، الاغتراب قلم بغير مداد.

قوات الاحتلال تجوب المكان كذباب جائعة، المذياع يعلن عن نية الحكومة بمصادرة ألفي دونم من

الأراضي الزراعـيـة في طولكرم. الحزن غـول شرس، ألوانـه داكنـة، يـخـرج إلى الأزقـة، يـلـتـهـم تضـاريـس الضوء معلناً تلعثم قصيدة أمل، أو على وشك ذلك.

في هذه الأثنـاء كان أبو صـالح يـتـلـمـس آخر أشجـار بسـتـانـه لـيـطمـئن عـلـيـهـا مـتـظـاهـراً بـعـدم الاكـتـراث، أعـشـاب الحـقـل يـعـتـريـهـا الـذبـول كـأنـهـا أحست بيـد الغـدر، عـينـاه تـلـتـحـفـان بـوجـوم، تسـربـل صدره المشبع بـانـثـنـاءات الروح. يـلـقـي بـالـفـأس عـلى كـتـفـه ويمضـي مـحـمـلاً بسـلـة ألم وضـيـاع بـغـيـر خـريـف وآلاف الاحتـمـالات المحرقة قدماه تـلـتـهـمـان أسفلت الطريـق بنهم، براكين ملتهبة تختلج في أغوار نفسه، يحاور حجارة المنزل:

- الأنذال يريدون مصادرة أرضي، يتنهد. يصدر أنفاساً ساخنة. ينظر إلى المعول ويبتسم ثم يتابع، درب البيت لأجعلنها مقبرة لهم، لن أخرج منها إلا جثة هامدة، الحياة لا أرض كوطن بغير هواء، يضرب الطاولة

صوت أم صالح يسري في ساقيه الوقت، تحاول أن تتصفح مساحات وجهه الموشح بكآبة، شفتاها حائرتان، تطلق العنان لثرثرات الأسئلة: لا شيء لا شيء يجيب بامتعاض ثم ينخرط في غابة من شرود ووجع وسكون.

هدير موقد الغاز يمزق الصمت، رائحة الشاي تتسلل إلى كل خلايا جسده تبث في نفسه شعوراً مختلطاً، تحمحم عيناه بدمعة حارقة عبثاً يحاول إخفاء آثار القلق الذي يعتريه، صور بلون الخريف تدك خارطة المستقبل، خارطة المستقبل مؤطرة بقارب وقافلة بغير نوارس وبطاقة غياب وغيوم.

عندما تلح أم صالح بالسؤال بصوتها الملهوف تتجمد صفحات وجهه، مساحات العيون تسامر اختلاجات الدمع، نظراتها المكسرة تزيده آلاماً وشفقة في آن واحد، إنها أنهار الحنان تصبغ شرايينه بلون النجم، يربت على كتفها ثم يبعث بقايا الكلمات فوق حصيرة اللحظة النازفة، بقايا الكلمات تشبه هذيان جريح في ليل بغير نجوم، يسحب وسادة كانت بقربه، يسند رأسه إليها ويسدل جفونه المثقلة بهم لا ينجلي

محاولاً التقاط طائر النوم، النوم طائر أسود قلق، يترنح فوق غابات الانهزام.

الذاكرة تلميذ ثرثار يبعثر أشياءه فوق طاولة اللحظة: «يقولون إن أبا صالح يحاول تسلق هامات السعادة ثم ينخرط في غفوته الصباحية الطويلة». حين أرخت الشمس أصابعها الملتهبة لتلامس تفاصيل المدى كانت الحياة تبدّل قميصاً آخر من زمن القهر، مكبرات الصوت تطلق إنذاراتها الأخيرة بإخلاء الأراضي المعدة لشق الطرق، جرافات العدو تلوث أناشيد الكروم، المكان مدجج بالسلاح، أبو صالح يتوسط أرضه كسنديانة راسخة، يقبض على معوله بقوة، يتقدم الضابط المسؤول يأمره بالابتعاد، يصهل حصانه الماضي الجريح، قوة غريبة تسري في أوصاله يضغط على قبضة المعول بقوة أكبر من ذي قبل يصطبغ وجهه بسنبلة إباء، يسبح في بحيرة من العرق يعلو فوق الرؤوس النتنة، يهبط بفرح ثم يكتسي برداء أحمر. المكان قنبلة موقوتة تغلي في هجير الوقت، تستعد للانفجار، صوت الرصاص يخدش رئة الحقول الصافية، الحقول الصافية حمامة بيضاء

تتسلق جدار الحلم، مدن القرنفل تشكل جسد أبو صالح الطافح بلهيب انتصار وزيزفونة شامخة وعطاء كروم ودماء.

* * *

أحمد
الماجد

من مواليد 1972، العراق، كاتب مسرحي. نشر العديد من قصصه في الصحف والمجلات.

ألتقيكم فيما بعد

كنت في غربتي وحيداً مثل وطني حينما حدث ما حدث، كان كل ما حولي هادئاً، والصمت يتسيد الموقف. فتحت عيناي، كان جسدي يفترش الأرض ونظري يتمخطر في أرجاء الغرفة.. إنها غرفتي، هذا سريري، هذه مكتبتي.. كوب الشاي لم يبرد بعد، والساعة تتوسط جدار الغرفة تعلن ركود الزمن.. شعور تائه، يحدث أول مرة.

اعـتـدلت مصـوباً نـظري إلـى بـاب الـغـرفـة، أروم الوصول إلى تفسير لما يحصل، كانت قدماي لا تتوكأ عـلـى الأرض.. وكـالـسـارق تمـسـدت الـبـاب، كـانـت غرفتي تتعرش بيتنا.. وسلم من الدرج يفصلني عن الأرض.. تقـدمت إلى الأمـام أنظـر من الأعلـى إلى عائلتي.. كانت متبعثرة فوق الكراسي، أمي تتوشح السواد، وأبي يعصر رأسه بيديه.

صرخت، كان صدى كلماتي يتأرجح فـي أرجاء البيت.

- أنا هنا..

.. ترجلت الدرج بحثاً عن الحقيقة.. اقتربت من أمي، حدقت فـي وجهها المتلألئ بالدموع، ثم التفت إلى الباب حين قطع على شتات الأفكار دويه... فتح الباب رجال، اقتحموا الدار، وهم يهتفون بحياتي، كانوا أكثر من ظلم الأيـام عـلـى، أنهـا ثـورة، أجل، ثورة عارمة طالما كنت أحلم بها.

كانت عيـون الثوار تتقاطر كالأزهار حين يقبلها

المطر.. كل ما حولي ينطق بالحزن، وجموع الثوار تتزايد.. لكن أبي بيده أخمد الثورة وهو يقول:

- لا فائدة من هذا الصراخ.. كفوا أرجوكم.

سكت الجميع وجدران الدار، سوى قطرات الماء المتدفقة ببطء من الصنبور إلى قدر ماء كان قد امتلأ وهو يرقد في حمام البيت، ورائحة البخور تقافز منه، كان الماء كفصل الربيع، ترتدي فيه ملابس الصيف والشتاء. حينها دخل رجل كث اللحية، حاد العينين، ووجهه تقاسمته خطوط الزمن، يتخفى بعمامة رأس وملابس غريبة:

- أين هو؟

كنا جميعاً أمامه، لمن يوجه سؤاله.؟؟ استقام أبي عن مقعده، وأشار بيده إلى الأعلى، تقدم الرجل الكث موكب الثوار وهم يحملون قماشاً أبيض وقدر الماء، لابد أنهم استبدلوا الدم بالماء ليخطوا عليه شعاراتهم.

تبعتهم أمي بدموعها، لكن أبي أوقفها.. لم أكن بالسذاجة التي تجعلني أترك مشهداً كهذا

يفوتني، وكالريشة تصدرت الجميع، باستثناء الرجل الكث الذي سبقني إلى غرفتي يتبعه أبي هرعت من فوري إلى الداخل.

وصعقت بما رأيت..

كان جسدي ممتداً على الأرض، كما خلق أول مرة.. والرجل الكث يهيل الماء عليه وأبي يقلب جسدي تارة إلى اليمين وتارة إلى الشمال.

تسمرت في مكاني.. وأنا أرى جسدي الغارق بالماء.. تثاقلت عيناي، وترنحت على غير هدى، حتى وصلت إلى جسدي...

كان الماء يدغدغ أعضائي، والرجل الكث يتحرك لسانه بكلمات يعصفها في الماء.

تجدمت عيناي، وأحسست بأصابع أبي تلامس وجهي.. انطفأ العالم من حولي.. ونحيب أبي يجرح صمت المكان..

لا أرى.. ربما أكون قد فقدت بصري.

* * *